السنة الثالثة عشرة

وفيها جهّز أبو بكر رضوان الله عليه الجيوش إلى الشام، وقال الواقدي: بعد مُنصرفه من حجّه إلى المدينة، وعقد الألوية؛ فأولُ لواءٍ عَقَده لواء خالد بن سعيد بن العاص، ثم لواء عمرو بن العاص، ثم لواء يزيد بن أبي سفيان، ثم لواء أبي عبيدة بن الجراح، ثم لواء شُرحبيل بن حَسَنة، ثم لواء الوليد بن عقبة. وقَدَّم على الجميع خالد ابن سعيد بن العاص، ثم عزله قبل أن يسيروا، وولّى عليهم يزيد بن أبي سفيان، وقال لعمرو بن العاص: اذهب إلى فلسطين، فخرج على طريق أيْلة، ثم قال للباقين: سيروا على تبوك واخرجوا على البَلْقاء، وكانوا سبعة آلاف، وأمَر خالد بن سعيد بن العاص أن يقيم بتيماء ردْءاً لهم.

وخرج أبو بكر معهم ماشياً يُشيِّعهم على عادته في جيش أسامة وغيره، وكان أول الأمراء الذين خرجوا إلى الشام يزيد بن أبي سفيان.

قال المصنف: وقد اختلفت الروايةُ في تجهيز أبي بكر الجيوشَ إلى الشام على قولين، أحدهما ذكره الهيثم وقال: إنه جَهّزهم في سنة اثنتي عشرة، ودليلُه قصَّة خالد لما جاء من العراق إلى الشام واجتمع بالأمراء على بُصرى، والثاني: أنه جهزهم في أول هذه السنة، والأول أظهر.

ذكر وصيّة أبي بكر رضوان الله عليه لأمرائه:

وكان مما أوصى الأمراء أن قال ليزيد بن أبي سفيان: يا يزيد، إذا أقبلتَ على أهل عملك فعِدْهُم الخير، وإذا وعدتَ فأنجز، ولا تُكثر الكلام فإن بعضَه يُنسي بعضاً، وإذا قَدم عليك رُسُل عدوِّك فأحسن نُزُلَهم، فإنه أولُ خيرك إليهم، ولا تُطِلْ مُقامَهم عندك؛ لئلا يَطَّلعوا على عورات المسلمين، واحفظ سِرَّك لئلا يَخرج أمرُك، وإذا استشرتَ فاصدُق الخبر، ولا تكتم المستشار فتُؤتى من قِبل نفسك، وإذا بلغك عن عدوِّك عَورة فاكتُمها حتى تواتيه، واستر الأخبار في عسكرك، وأَذْكِ العيون والحرس، واصدُق اللقاء إذا لقيت، ولا تَجبن فتُجبن مَن سواك[1].

(١) انظر تاريخ دمشق ١٨/ ٣١١ (مخطوط).

وقال ابن عمر: مشى أبو بكر معهم ميلين، فقالوا: يا خليفة رسول الله ارجع، أولو انصرفت، قال: لا، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن اغبرَّتْ قدماه في سبيل الله حرَّمَهما الله على النار»[١]، ثم قام في الجيش فقال: أوصيكم بتقوى الله، [لا تعصوا، ولا تغلوا] ولا تغدروا، ولا تُمثّلوا، ولا تهدموا بِيعةً، ولا تحرقوا نخلاً، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تقتلوا شيخاً كبيراً ولا صبياً صغيراً، وستجدون أقواماً قد حبسوا أنفسَهم، فذروهم وما حبسوا أنفسهم له، وستَجدون مَن يغدوا عليكم بألوان الطعام ويروح، فلا يأتيكم [لونٌ] إلا ذكرتُم اسمَ الله عليه، بسم الله، سيروا على بركة الله، ثم عاد إلى المدينة[٢].

وقال يزيد بن أبي سفيان: أوصاني أبو بكر رضي الله عنه لما بعثني إلى الشام، فقال: يا يزيد، إن لك قرابةً عَسيتَ أن تُؤثرهم بالإمارة، وذلك أكثرُ ما أخاف عليك، فإن رسول الله ﷺ قال: «مَن وَلي من أمر المسلمين شيئاً فأَمَّر عليهم أحداً مُحاباةً فعليه لعنةُ الله، لا يَقبل الله منه صرفاً ولا عدْلاً حتى يُدخله جهنّم، ومَن أعطى أحداً حِمى الله فقد انتهك في حِمى الله شيئاً بغير حقِّه، فعليه لعنةُ الله، أو قال: فقد بَرِئت منه الذّمَّة، أو ذمَّةُ الله تعالى»[٣].

ذكر سبب عزلِ خالد بن سعيد

قال ابن إسحاق: قدم خالد بن سعيد من اليمن بعد وفاة رسول الله ﷺ، فتربص ببيعة أبي بكر شهرين، ولقي علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان، فقال: يا بني عبدمناف لقد طِبتُم نفساً عن أمركم يليه غيرُكم، فأما أبو بكر فلم يحقدْها عليه، وأما عمر فاضْطَغَنها عليه، فلما أمَّره قال له عمر: أَتُؤمِّره وقد صنع ماصنع، وقال ما قال، فلم يزل به حتى عزله، وأمّر يزيد بن أبي سفيان[٤].

وقال سيف: قدم خالد بن سعيد من اليمن، وكان قد ولاه رسول الله ﷺ اليمن،

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٩٣٥)، والبخاري (٩٠٧) من حديث أبي عبس رضي الله عنه.

(٢) المنتظم ٤/ ١١٦ ، وتاريخ دمشق ١٨/ ٣١٠ .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٨/ ٣١٠ .

(٤) تاريخ الطبري ٣/ ٣٨٧ ، والمنتظم ٤/ ١١٦ .

فأقام يتربّص ببيعة أبي بكر شهرين، وقال: أمّرني رسول الله ﷺ ولم يعزلْني حتى قبضه الله، فخرج يوماً وعليه جُبَّةُ حرير أو ديباج، فلقي عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، فصاح عمر بمَن يليه: مَزِّقوا عليه جُبَّتَه، فصاح خالد: يا أبا الحسن، يا بني عبدمناف، أغُلِبتم عليها؟ فقال له عمر: فضَّ الله فاك، والله لا تزال تَخوضُ فيما قلت، ثم لا تضرَّ إلا نفسَك، فلما عقد له أبو بكر على الشام قال له عمر: أَتُولِّيه وقد قال ما قال، وإنه والله لمَخْذولٌ، ضعيفُ الرؤية[١]، كاذبٌ أحمق، فلا تستنصر به، فأطاع أبو بكر عمر في بعض أمره، ثم عصاه في البعض، فعزله عن إمرة الشام، وجعله ردءاً بتيْماء، وقال له: أقم بها رِدءاً للمسلمين.

وقال الواقدي: لما قدم خالد بن سعيد من اليمن أقام في بيته ثلاثة أشهر لم يبايع، ولا دخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم مرَّ عليه أبو بكر وهو على باب داره، فسلّم عليه فقال له خالد، أتحبُّ أن أُبايعك؟ فقال: أحبُّ أن تَدخل في صالح ما دخل فيه المسلمون، فقال: مَوعدك العَشيَّة، فجاء وأبو بكر على المنبر فبايعه، وكان رأيُ أبي بكر فيه حسناً، وكان مُعظّماً له، فلما بعث أبو بكر الجيوش إلى الشام عقد له لواءً على المسلمين، وجاء أبو بكر باللواء إلى بيت خالد، فعاتبه عمر، ولم يزل به حتى عزله عن إمرة الشام، وأرسل إلى خالد أبا أَرْوى الدَّوْسي: ارْدُدْ علينا لواءَنا، فدفعه إليه وقال له: والله ما سرَّتنا ولايتُكم، ولا ساءنا عزلُكم، وإن الملومَ لغيرُك ـ يعني عمر، لأنه هو الذي نقل الحديث، وألجأه إلى عزله ـ فما شعر خالد إلا بأبي بكر وقد دخل عليه داره، وأخذ يَعتذر إليه، ويعزم عليه أن لا يذكر عمر بحرف، قالت أم خالد بنت خالد: فوالله ما زال أبي يترحَّم على عمر حتى استشهد[٢].

ولما سار خالد إلى الشام مع الأمراء كان يسير تحت لواء أبي عبيدة، فقيل له: تدعُ المسير تحت لواء ابن عمك يزيد بن أبي سفيان وتسير تحت لواء الغير! فقال: مَسيري مع أخي في ديني أحبُّ إليَّ من مسيري مع ابن عمي[٣].

---

(١) في الطبري ٣/ ٣٨٨ : ضعيف التروئة.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٩٩ ، وتاريخ دمشق ٤/ ٤٥٥ (مخطوط).

(٣) تاريخ دمشق ٤/ ٤٥٦ .

قال هشام: سار خالد تحت لواء شرحبيل بن حسنة، فقيل له في ذلك فقال: لأن شرحبيل بن حسنة رفيقي في الهجرة إلى الحبشة، وكان على عهد رسول الله ﷺ يَنصرني على ابن عمي.

وقال أبو بكر رضوان الله عليه لشرحبيل: إن خالداً قد اختارك على ابن عمِّه، فاعرف له ذلك، فإن رسول الله ﷺ توفي وهو راضٍ عنه، وولاه، وكنتُ قد ولَّيتُه، ثم رأيتُ عزلَه، وعسى أن يكون خيراً له في دينه، وبلغ خالداً فقال: والله ما عزلني إلا طاعة للأعيسر، ثم ذكره بعد.

ولما توجه الأمراء قال أبو بكر لخالد بن سعيد: إذا نزلت تيماء فادعُ ما حولَها من العرب، وأقم هناك حتى يأتيك أمري. فسار إليها فأقام بها، واجتمع إليه خلقٌ كثير، وبلغ الروم فضربوا البعْثَ على عرب الضاحية بالشام، فنفر إلى نُصرة الروم طوائف العرب: بَهْراء وكلب وتنوخ وجُذام وغسّان ولَخْم وغيرهم، فكتب خالد إلى أبي بكر يَستمدُّه، فكتب إليه أبو بكر: أَقدِمْ ولا تُحجم، واستنصر بالله، فسار إليهم خالد فتفرَّقوا، ودخل عامَّتُهم في الإسلام.

وسار إلى خالد بِطريقٌ من الروم في جمعٍ عظيم، اسمه باهان، والتقوا، فهزمه خالد، وقتل جُنده، وكتب إلى أبي بكر رضي الله عنه بالفتح وأن يُمدَّه فأمدّه.

وأما عمرو بن العاص فإنه لما تَوَجَّه إلى فلسطين كتب إليه أبو بكر يُخيِّره بين أن يغزو إلى الشام، وبين أن يَرجع إلى ما ولاه رسول الله ﷺ من صدقات كلب وقضاعة، فاختار الجهاد في سبيل الله، وكتب إلى الوليد بن عُقبة بمثل ذلك فأجابه مثل ما أجاب عمرو، فأمَّر عمرو على فلسطين والوليد على الأردن.

وكان يزيد بن أبي سفيان أميرَ الجيوش، وفي جُنده سُهيل بن عمرو وأشراف مكة، واستعمل أبو بكر أبا عبيدة على حمص، وأمدّ خالد بن سعيد بعكرمة بن أبي جهل وذي الكَلاع، وكتب إلى الوليد بن عُقبة أن يجتمع مع خالد بن سعيد بمشارف الشام، فسار خالد إلى مرج الصُّفَّر، فاجتمع بالوليد، ثم نزلا بالواقوصة، وقيل: بين الواقوصة ودمشق.

ولما سار خالد للقاء الوليد أخذ عليه الطريق بِطريق يُقال له: ماهان، وكان قد

تقدَّم خالداً ابنُه سعيد في جماعة، فصادفهم البطريق وهم لا يشعرون، فهزمهم، وبلغ الخبر خالد بن سعيد فهرب في نَفرٍ يسير، فلم تنته [الهزيمة به] عن ذي المروة، ثم قدم المدينة منهزماً، فغضب أبو بكر على خالد ونال منه، وقال: إنك لا تخوض الغمرات، ولا تصبر في الشدائد، ويا ليتني أطعتُ عمر فيك، ثم ردَّه إلى الشام، وأقام عكرمة بن أبي جهل بتيماء ردءاً للمسلمين، ثم أمّر أبو بكر معاوية بن أبي سفيان، وأَمَره أن يلحق بأخيه يزيد بن أبي سفيان، فسار إليه يسير تحت لوائه.

فصل ذكر جموع الروم

قال علماء السِّير: ولمّا بلغ الروم مسيرُ يزيدَ بن أبي سفيان والأمراء إلى الشام، كتبوا إلى هرقل وهو بحمص يُخبرونه بذلك، فجمع خواصَّه وعلماءَه واستشارهم وقال: الرأيُ عندي الصلحُ، وأن لا تُقاتلوا هؤلاء القوم. فخالفوه وقالوا: لابد من قتالِهم وإخراجهم من الشام إلى حيث جاءوا. وقيل: إنما كان هرقل بالقسطنطينيةِ فسار حتى نزل حمص، وكانت دار الملك بالشامِ، ثم جمع العساكر وسيَّرهم إلى المسلمين، فبعث أخاه لأبيه وأمه واسمه تَذارق إلى عمرو بن العاص في تسعين ألفاً، فنزلوا قريباً من فلسطين بثنيّة جلّق، وبعث جَرَجَه بن توذرا نحو يزيد بن أبي سفيان، فعسكر بإزائه في خمسين ألفاً، وبعث الدّراقص إلى شُرَحبيل بن حسنة في ستين ألفاً قريباً منه، وبعث الفيقار بن نسطوس إلى أبي عبيدة بن الجراح، فنزل بإزائه في ستين ألفاً. وكان مقصود هرقل أن يُرعب المسلمين، ويحول بين بعضهم والبعض، فهابهم المسلمون؛ لأن جموعهم لم تبلغ سبعةً وعشرين ألفاً، وجموعُ الروم مئتان وستون ألفاً سوى مَن تأخَّر مع هرقل، ومَن كان في المدائن والحصون من المقاتلة، وكانوا يزيدون على أربع مئة ألف مقاتل.

فكتب المسلمون إلى عمرو بن العاص ما الرأي؟ فكتب إليهم: أن نَجتمع، فإن مثلنا إذا اجتمعنا كالقِداح المجتمعة لن نُغلب عن قلّةٍ.

وكتبوا إلى أبي بكرٍ فأجابهم بمثل ما قال عمرو، وقال: انزلوا اليرموك. فساروا إليه بأجمعهم فنزلوه. وكتب هرقلُ إلى جيوشه: انزلوا بإزائهم، فنزلوا، وصار الوادي خندقاً بينهم، وهو وادٍ عظيم لا يُدْرك، ونزلت الرومُ بمكانٍ ضيِّقٍ ليس لهم طريقٌ إلّا

من مكانٍ واحدٍ، فقال عمرو: هذا فتحُ باب النصر والظَّفر.

فأقاموا على تلك الحال شهر صفر وشهريْ ربيعٍ لا يصلُ أحدٌ من الفريقين إلى الآخر: فكتب المسلمون إلى أبي بكرٍ يستمدّونه فأمدَّهم بخالدِ بن الوليد من العراق، فوافاهم خالدٌ في شهر ربيع الآخر على ما ذكرنا.

وقال الواقدي: وافاهم خالدٌ قبل أن ينزلوا اليرموكَ، وإنما كان أبو عبيدة وشُرَحبيل بن حسنة على بُصرى، فوافاهم خالدٌ هناك فلما فصلوا عن بُصرى نزلوا اليرموك.

وكان مع خالد لما قدم من العراق تسعةُ آلافٍ فصار المسلمون في ستةٍ وثلاثين ألفاً، وجاءهم عكرمةُ وفُلّالُ خالد بن سعيد بن العاص في عشرة آلاف، فصار المسلمون في ستة وأربعين ألفاً ففرحوا وقويت قلوبُهم.

وكان الروم نحواً من ثلاث مئة ألفٍ منهم ثمانون ألفاً قد قُرِنوا بالسلاسل. وقيل: كان جملةُ الروم مئتين وستين ألفاً.

وقال الهيثم: كتب إليهم أبو بكرٍ: انزلوا اليرموكَ واجتمعوا كما قال عمرو بن العاص، وعسكِروا بمكانٍ واحدٍ، فلن يُؤتى مثلكم عن قِلَّةٍ، واللهُ ناصر من ينصرُه، وليصل كلُّ أميرٍ منكم بعسكره، وأذكوا الحرسَ والعيون والطوالع.

وكتب إلى خالد: سِرْ من العراق إلى الشام، واستخلف المثنى بن حارثة. فسار خالدٌ ووافاهم في شهر ربيع الآخر.

وقال هشام: فجهَّز إليهم هرقل جيشاً كثيفاً عليه بطريق يُقال له: ماهان. فطلع عليهم وبين يديه الشمامسة والرهبانُ والقُسس يُحرِّضونهم على القتال، فوافى قُدومُه قدوم خالدٍ فقال خالد: أنا له فالتقوا، وتحركت الروم من منزلها، فقاتلهم الأُمراءُ وقاتل خالد بن الوليد ماهان، فانهزم وقُتل من أصحابه خلق عظيم.

قصة اليرموك

قال علماءُ السِّير كابن اسحاق والواقدي وهشام وسيف بن عمر وغيرهم، قالوا: لما هزم خالد بن الوليد ماهان وألجؤوا الرومَ إلى الخنادق، خرجت الرومُ على تعبئةٍ لم

ير الراؤون مثلها؛ منهم ثمانون ألفاً مقرَّنون في السلاسل، والرجّالة وكانوا مئةً وخمسين ألفاً حولهم مثل الخنادق، والقسس والرُّهْبانُ والشمامِسة والأساقِفَةُ بين أيديهم قد نَشروا الأناجيل، والصُّلْبانُ في أعناقهم، وهم يُحرِّضونهم على القتال، فشاهد المسلمون أمراً لم يُشاهدوا مثلَه، وهالهم ذلك، وكان في أول جُمادى الأولى.

فقام خالدُ بن الوليد في الناس وقال: هذا يوم من أيام الله تعالى. لا ينبغي فيه الجبنُ والعجزُ والفَشَلُ، أَخْلِصوا لله تعالى جهادَكم، وأريدوا وجهه بعملكم وعندي رأي، قالوا: وما هو؟

قال: نقسم الإمارة بيننا، واحدٌ اليوم، وواحد غداً، وواحد بعد غد، فإنا إن أَلجأناهم إلى الخنادق اليوم لم نزل ظاهرين عليهم أبداً، وإن هزمونا اليوم لم نُفْلح أبداً. قالوا: فافعل.

فقال: أنا اليوم أميرُكم.

فأمَّروه عليهم فكردس الخيل ستة وأربعين كُردوسا[1]، وجعل أبا عبيدة في القلبِ، وعمرو بن العاص في الميمنة، ويزيد بن أبي سفيان في الميسرة، وفي الجناح الواحد شُرَحْبيل بن حسنة وفي الآخر القعقاع بن عمرو، وفرق الأمراء على الكراديس مثل الزبير بن العوام، وعكرمة بن أبي جهل، وعياض بن غَنْم، وهاشم بن عتبة، وعبدالرحمن بن خالد، وصفوان بن أُميَّة، ومعاوية بن خُدَيْج، وعبد الله بن قيس، وعمرو بن عَبَسة، وزياد بن حنظلة، ودِحْية بن خليفة، وسعيد بن خالد، وحبيب بن مسلمة، وأبو الأعور السُّلَمي، وابن ذي الخِمار.

وقال جدي في المنتظم[2]: وجعل ذا الكلاع على كردوس. وهو وهم، لما ذكرنا أن ذا الكلاع أسلم في أيام عمر، وسنذكره.

وكان القاضي على العسكر أبو الدرداء، وكان الواعظ والمحرِّضَ أبو سفيان بن حرب. وكان يقفُ على الكراديس ويقول: الله الله، أنتم أنْصَارُ الدين، وهذا يوم من

(١) في الطبري ٣/ ٣٩٦، والمنتظم ٤/ ١١٨: ستة وثلاثين كردوساً إلى أربعين.
(٢) في ٤/ ١١٩.

أيام الله تعالى، وروي عنه خلاف هذا لما نذكر في ترجمته في سنة اثنتين وثلاثين.

وكان على الطّلائع قَباث بن أَشْيَم، وعلى الأقباض عبدالله بن مسعود، وكان القارئ المقدادُ بن الأسود، وقيل: ابن مسعود، قال ابن عباس: وكان رسولُ الله ﷺ قد سنَّ عند لقاء المشركين قراءة سورةِ الأنفال، قال ابن إسحاق: وشهد اليرموك ألفٌ من الصحابة، منهم مئة من أهل بدر وتسع مئة من غيرهم.

وتطاردت الفرسانُ، ونشب القتالُ، فبينما هم على ذلك إذ قدم البريد من المدينة وهو مَحْميةُ بن زُنَيم، فأخذته الخيولُ، وسألوه الخبرَ، فأخبرهم بالسلامة وبوصول المدد، وإنَّما جاء بكتاب عمر رضوان الله عليه إلى أبي عبيدة يُخبره بوفاة أبي بكر، وتولية أبي عبيدة على الناس، فأبلغوه خالداً، فأسرّ إليه بموت أبي بكر، وأخبره بما قال للجند فقال: أحسنت، وأخذ خالد الكتاب فجعله في كنانته، وخاف إن أظهره أن ينتشر عليه الأمرُ، ويضطربَ النَّاسُ.

قال المصنف رحمه الله: والأصحُّ أن هذا الكتاب لم يكن فيه عزلُ خالدٍ، وإنما كان فيه وفاةُ أبي بكر، وأنه مات قبل اليرموك بعشر ليال، وإنما عُزِلَ خالدٌ في الكتابِ الثاني لما نذكر.

قصة جرجة بجيمين

قال علماء السير: فلما تراءى الفريقان خرج قائدٌ عظيم من قُوادِ الروم يقال له: جَرَجة بن توذرا، فوقف بين الصفين وقال: ليَبْرُز إليَّ خالدٌ بأمان، فبرز إليه وأمّنه، فقال له: يا خالد اصدُقني فإنَّ الحرَّ لا يكذبُ، ولا تُخادعني فإن الكريم لا يُخادعُ المسترسل بالله، أسألك بالله هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاه لك، فلا تَسُلُّه على أحد أو على قومٍ إلا هزمتَهم؟ قال: لا، قال: فبم سُمِّيتَ سيف الله؟ فقال خالد: هذا لقبٌ لقَّبني به رسول الله ﷺ لما أسلمتُ فقال: «أنت سيفٌ من سيوف الله سلَّه الله على المشركين» ودعا لي بالنَّصْرِ، فلا ألقى أحداً إلا هزمتُه. فقال له: يا خالد إلام تدعون؟

قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرارِ بما جاء من

عند الله.

قال: فمن لم يُجِبكم إلى ذلك؟ قال: فالجِزيةُ. قال: فمن لم يُؤدِّها؟ قال: نُؤذِنُهُ بحربٍ ثم نُقاتِله. قال: فما منزلةُ مَن أجابكم إلى هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتُنا. قال: فهل لمن دخل فيه اليوم مثل مالكم من الأجر؟ قال: نعم وأفضلُ. قال: فكيف يُساويكم وقد سبقتُموه؟ قال: لأنا دخلنا في هذا الأمر ونبيُّنا ﷺ حيٌّ بين أظهُرنا، يأتيه خَبرُ السماء، وحُقَّ لمن رأى ما رأينا أن يُبايعَ ويُسلمَ، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب، وما ظهر لنبيِّنا من المعجزات، فمَن دخل في هذا الدين كان على بيِّنةٍ من ربه وهُدى فكان أفْضلَ.

فقال: صدقتَني، وقلب التّرس، ومال مع خالد وقال: علِّمني الإسلام، فمال به خالد إلى فُسطاطِه فشنَّ عليه ماءً، ثم أسلم وصلَّى ركعتين.

وحملتِ الرومُ على المسلمين لما شاهدوا ذلك حَمْلةً مُنكَرةً فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية، [عليهم] عكرمةُ بنُ أبي جهل والحارث بن هشام وغيرهما.

وركب خالد وجَرجة، فتراجعت الرومُ إلى مواقفها، فزحف خالدٌ ومعه جرجة والمسلمون، فما زالوا يضربونهم بالسيوف من لدن ارتفاع النهار إلى أن جَنحتِ الشمسُ للغُروب، ثم أُصيب جَرَجَةُ، ولم يكن سجد لله تعالى إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما. ـ ويقال: إن ماهان بعث جَرَجَة رسولاً إلى خالدٍ، فلما شاهد أحوال المسلمين أسلم ـ وصلى الناسُ الظُّهْرَ والعصر بالإيماءِ، ومال خالد عليهم بالقَلْب، فتفرَّقت خيولهم، وعدل نحو الرَّجَّالةِ فأبانهم، واقتحم خنادقهم، فاقتحموا الواقُوصَةَ خَوْفاً من القتل، فتردّى فيها المقرَّنون في السلاسل بأَسرهم، وهلك معهم أربعون ألفاً، فكان جملةُ الهالكين عشرين ومئة ألف، ثمانون ألف مقيّدٍ، وأربعون ألف مطلقٍ، سوى من قُتل في المعركة من الفرسان والرَّجَّالة، وتجلَّل الفيقارُ نائبُ الملك وأشرافُ الروم بَرانِسَهم، وجلسوا وقالوا: لا نُحِبُّ أن نرى يومَ السوء بالنَّصْرانية[1]، فقُتلوا في تزمُّلِهم.

(١) في الطبري ٣/ ٤٠٠ ، والمنتظم ٤/ ١٢٢ : لا نحب أن نرى يوم السوء إذ لم نستطع أن نرى يوم السرور، وإذ لم نستطع أن نمنع النصرانية.

وكان الفيقارُ قد بعث قبل ذلك جاسوساً إلى عسكرِ المسلمين ليأتيه بأخبارهم، فعاد إليه فقال: رأيتُهم بالنَّهار فرساناً، وبالليل رُهباناً، ولو سرق ابنُ ملكهم لقطعوا يده، ولو زنى لأُقيم عليه الحدُّ لإقامة الحقِّ فيهم، فقال الفيقارُ: لَبَطنُ الأرض لنا اليوم خيرٌ من ظهرها.

وقُتل أخو الملك ووجوهُ أصحابِهِ، وأُسرَ التذارق صاحبُ جيشه، وانتهت الهزيمةُ إلى هِرَقْل وهو دون حمص فارتحل وجعل حمص بينه وبينهم.

وقال سيف: أُصيب يوم اليرموك وجوهُ المسلمين: عكرمةُ بن أبي جهل، والحارث بن هشام، وعبد الرحمن بن العوام أخو الزبير بن العوام، وأبان بن سعيد، وأثبت خالد بن سعيد بن العاص فلا يُدرى أين ذهب.

قلت: وهذا وهم، فإن خالد استُشهد بمرج الصُّفَّرِ لما نذكُرُ.

قال: وأُصيب ضرار بن الأزور فعاش بعد ذلك. وهذا وهمٌ أيضاً، فإن ضرارَ بن الأزورِ قُتل يوم اليمامة. قال: واستُشْهِدَ الطفيلُ بن عمرو، وهذا وهم، لأن الطُّفيلَ استشهد يوم اليمامة، وسنذكرُ أعيان مَن استشهد باليرموك في آخر السنة.

وقال الواقدي: قاتل النساءُ يومئذٍ قتالاً شديداً منهن: جويرية بنتُ أبي سفيان. وأُصيبت عينُ أبي سفيان بن حرب، وأُخرج النَّصْلُ منها.

وعامة علماء السِّير على أن وقعة اليرموك كانت في السنة الثالثة عشرة من الهجرة إلّا الواقديَّ، فإنه قال في سنة خمس عشرة، حكاه ابن سعد عنه، وكذا قال ابن عساكر في تاريخه فإنه قال: المحفوظُ أنها كانت في سنة خمس عشرة، قال: وقال سيف: في سنة ثلاث عشرة ولم يُتابعه عليه أحدٌ[1].

قلتُ: قد تابعه ابن إسحاق وهشام وعامة العلماء، فإنهم قالوا: أوَّلُ فتحٍ أتى عمر ابن الخطاب من الشام فتحُ اليرموك على عشرين ليلةً من وفاة أبي بكرٍ رضي الله عنه.

وقال الهيثم: كان أبو بكرٍ قد هيَّأ لكل كُورةٍ أميراً، ومرض في جُمادى الأُولى وتُوفي في نصفه قبل اليرموك بعشر ليالٍ.

(١) انظر طبقات ابن سعد ٤/ ١٣٩ و ١٩٦ ، وتاريخ دمشق ١/ ٢٥٤-٢٥٥ ، والمنتظم ٤/ ١٢٣ .

وقال ابن إسحاق: قدم بفتح اليرموك على عمر جريرُ بنُ عبدالله الحميري، ثم أقام أبو عبيدة بمرج الصُّفَّرِ حتى ورد عليه كتابُ عمر بمنازلة دمشق.

واختلفوا في أوَّل صلحٍ جرى بالشام في أوَّل الإسلام ،فقال الواقدي: كان ذلك على قريةٍ بالبلقاء يُقال لها: مَآب، مرَّبهم المسلمون فقاتلوهم ثم صالحوهم.

وقال ابن إسحاق: أوَّل صُلحٍ جرى صلح خالد بن الوليد مع أهل بُصْرى، لمَّا انفصل عن الغوطة، صالح على كلِّ رأسٍ دينارٌ وجريب حنطةً، أو قيمةُ الجريب ديناراً وذلك في كلّ عام.

وقال الهيثم: كان ذلك أوَّل صلحٍ في الشام اتفقوا عليه: خالد وأبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة ثم انفصلوا عن بُصْرى، وجرت وقعةُ اليرموك بعد ذلك.

وقال القعقاع بن عمرو في يوم اليرموك: [من الوافر]

ألم ترنا على اليرموك فُزنا ... كما فُزنا بأيام العراقِ
فَتحْنا قبلَها بُصرى وكانت ... مُحرَّمةَ الجناب على العناق
وعَذْراء المدائن قد فتحنا ... ومرجَ الصُّفَّريْنِ على العِتاق
قَتلنا الرّومَ حتى ما يُساووا ... على اليرموك ثُفروقَ الوِراقِ
فَضَضْنا جمعَهم حتى استحالوا ... على الواقوص بالبُتْر الرِّقاق
غداةَ تَهافتوا فيها فصاروا ... إلى أمرٍ يُعضّل بالذّواق

وقال الأسود التميمي: [من الطويل]

وكم قد أَغَرْنا غارةً بعد غارةٍ ... ويوماً كريهاً قد أضلت أهاوِلُه
لقيناهم اليرموك لما تضايقتْ ... بقيصر باليرموك منه حمائلُهْ
فلا يَعْدَ مَنْ منا هرقلُ كتائباً ... إذا رامها رام الذي لا يحاولُه[1]

فصل: وفيها في أَوَّلِ السنةِ كان قد استقام أمرُ شهريار بن كسرى[2] بعد خُروج خالد إلى الشام، فوجَّه شهريار إلى المثنى بن حارثة خليفة خالد على العراقِ جيشاً في

(١) أبيات الأسود والقعقاع في تاريخ دمشق ١/ ٢٦٦-٢٦٧ (مخطوط).

(٢) في الطبري ٣/ ٤١١ ، والمنتظم ٤/ ١٢٣ : شهربراز بن أردشير بن شهريار.

عشرة آلافٍ مع هرمز جاذَوَيْه، ومعه فيلٌ عظيم، وكتب شهريار إلى المثنى كتاباً يُرعبه فيه ويقول: قد بعثتُ إليك جنداً من وَحْشِ أهل فارس، إنما هم رُعاةُ الدَّجاج والخنازير، ولستُ أُقاتِلُك إلا بهم. فكتب إليه المثنى: الحمدُ لله الذي اضطرك إلى رُعاةِ الدجاج والخنازير. فقرأ كتابَه على أهل فارس، فجزع أهل فارس وقالوا: جَرَّأتَ علينا عدوَّنا. وإنَّما أُتيَ شهريارُ من حيثُ مولدُهُ ولؤمُ مَنشَئه، لأنه كان نشأ بمَيْسان، وقالوا له: إذا كتبتَ بعدها كتاباً إلى أحدٍ فاستَشِر.

وسار المثنى من الحيرةِ فالتقوا ببابلَ فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكان الفيلُ يخرقُ الصفوفَ بحملاته، فقال المثنى: مَنْ له؟ فقصده رجلٌ من العربِ فقتله، فانهزمت الفرسُ، والمسلمون في آثارِهم يقتلون ويأسِرون، وانهزم هرمز جاذَوَيه، وقُتِلَ شهريار. وقيل: مات حين انهزم الجيشُ. والأصحُّ أن أهلَ فارسٍ قتلوه وقد ذكرناه في صدر الكتاب في الفُرْسِ الثانية.

ولمّا قُتِلَ شهريارُ لم يَبْقَ من الفُرسِ ذكرٌ؛ قتل شيرويه بن أبرويز الجميع إلا ابنتين لأبرويز، وهما: بوران، فأقامتِ العدْلَ وأحسنت السيرةَ، فأقامت سنةً وسبعة أشهر ثم ماتت، وقيل: قُتِلَتْ. فملَّكوا عليهم آزَرْمي دخت أُخت بوران، فأقامت ستَّة أشهر وقُتِلت. ثم ملَّكوا يَزْدَجرْدَ بنَ شهريار.

قال هشام: وأبطأ على جيوشِ العراق خبرُ أبي بكرٍ ومَدَدُهُ، فاستخلف المثنى بنُ حارثة على الناس بشير بن الخَصاصية، وخرج إلى أبي بكرٍ ليُخْبرَه خبرَ فارس ويستأذنه فيما يفعلُ، فقَدم المدينة وأبو بكرٍ مريضٌ، فقال أبو بكرٍ لعمر: إني لأرجو أن أموتَ في يومي هذا، فلا تُمْسِيَنَّ حتى تَندبَ الناس مع المثنّى، وإن تأخَّرْتُ فلا تُصْبحنَّ حتى تَندبَ الناس معه. ولا تشغلنَّكم مصيبةٌ عن دينكم، وقد رأيتَ ما صَنعتُ عند وفاة رسول الله ﷺ فمات أبو بكرٍ ونَدب عمرُ الناسَ مع المثنى.

ذكر استخلاف أبي بكر لعمر رضي الله عنهما

لما اشتد بأبي بكر رضوان الله عليه مرضُه دعا عبدالرحمن بن عوف فقال: أخبرني عن عمر، فقال: ما تسألُني عن أمرٍ إلا وأنت أَخبرُ به مني، [فقال أبو بكر: وإنْ] فقال عبدالرحمن: هو والله أفضلُ من رأيك فيه، ثم دعا عثمان فقال: أخبرني عن عمر،

فقال: أنت أَخبَرُنا به، فقال: على ذلك، فقال عثمان: علمي به أن سريرتَه خيرٌ من عَلانيته، وليس فينا مثله، فقال أبو بكر: لو تركته لما عدوتُك، وشاور معهما سعيد بن زيد وأُسَيد بن حُضَير وغيرهما من المهاجرين والأنصار.

وسمع بعض أصحاب النبي ﷺ بذلك، فدخلوا على أبي بكر، فقال له قائل منهم: ما أنت قائلٌ لربّك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا، وقد ترى غِلظَتَه؟ فقال أبو بكر: أجلسوني، أبالله تُخوِّفوني، خاب مَن تزوَّد من أمركم بظُلْمٍ، أقول: اللهمَّ إني استخلفتُ عليهم خيرَ أهلك، أبلغ عني ما قلتُ لك من وراءك، ثم اضطجع.

قالت عائشة رضي الله عنها: الذي قال لأبي بكر ذلك هو طلحة وعلي بن أبي طالب.

ثم قال لعثمان: اكتب، فكتب بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن [أبي] قُحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها إلى الآخرة، وعند أول [عهده] بالآخرة داخلاً فيها، إني قد استخلفتُ عليكم بعدي عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا، وإني لم آلُ الله ورسولَه ودينَه ونفسي وإياكم خيراً، فإن عَدَل فذلك ظني به وعلمي فيه، وإنْ بَدَّلَ أو غيَّر فلكلِّ امرئٍ ما اكتسب [من الإثم]، والخيرَ أردتُ، ولا أعلم الغيب، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ مُنقلَبٍ يَنقلبون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ثم أمر بالكتاب فخُتِم.

وفي رواية: لمّا أَملى أبو بكر رضي الله عنه صدرَ الكتاب، وبقي ذكر عمر، فذُهب به قبل أن يُسمِّي أحداً، فكتب عثمان: إني قد استخلفتُ عليكم عمر، ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ عليَّ ما كتبتَ، فقرأ عليه ذكرَ عمر، فكبّر أبو بكر وقال: أراك قصدتَ أنني لو ذُهب بي في غَشيتي هذه أن لا يَختلف الناسُ، فجزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله، والله لو سَمَّيتَ نفسَك لكنتَ لها أهلاً.

ثم أمره فخرج بالكتاب مختوماً فقال للناس: أتُبايعون لمن في هذا الكتاب؟ قالوا: نعم، قال علي كرم الله وجهه: قد عَلِمنا به، وهو عمر، وأَقَرُّوا بذلك، ورَضُوا به جميعاً وبايعوا، ثم دعا أبو بكر عمر خالياً فأوصاه بما أوصاه[1].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ١٩٩-٢٠٠ ، والطبري ٣/ ٤٢٨ ، والمنتظم ٤/ ١٢٥-١٢٦ .

obeikandl.com

الباب الثاني

في ذكر عمر رضي الله عنه

هو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العُزَّى بن رِياح بن عبدالله بن قُرْط بن رَزاح بن عديّ بن كعب بن لؤي، أبو حفص العَدَويّ القرشي.

قال وهب: اسمه في التوراة الفاروق.

وكان أبوه الخَطّاب من رجالات قريش، وأمُّ الخطاب من بني فَهم، وأم عمر حَنْتَمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم.

فصل: ذكر صفته:

قال الواقدي: كان أبيضَ أَمْهَق تعلوه حُمرة طُوالاً[١]. قال الجوهري: الأمهق: الشديد البياض كلونِ الجِصِّ[٢].

وكان أصلعَ شديدَ حُمرة العينين في عارِضه خفَّةٌ، يخضب عارضيه بالحِنَّاء والكَتَم، وصفته في التوراة: قرن من حديد، أمير شديد.

قال ابن قتيبة وهذا وصفُ أهل الحجاز. أما وصفُ الكوفيين فيقولون: كان آدمَ شديدَ الأُدْمَةِ[٣].

قال الواقدي: والثبت عندنا هو الأوَّلُ، اللهمَّ إلَّا أن يكون تغيَّر لونه عامَ الرمادةِ لما أكل الزيت[٤].

وقال ابن قتيبة: كان أرْوَحَ، وهو الذي يتدانى عَقباه إذا مشى، قال: وكان كأنه من رجال سدوس، يعني من طُوله، فكان إذا مشى كأنه راكبٌ والناسُ يمشون.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٢٤.

(٢) الصحاح (مهق).

(٣) المعارف ١٨١.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٢٤.

وقال ابن قتيبة أيضاً: كان أعسر من اليسار[١]. وقال أبو جعفر الطبري في «تاريخه»: كان أَعسرَ يَسَرَ[٢]، ويُسمَّى الأيسر. قلتُ: وقال الجوهري: ويقال رجلٌ أعسَرُ بيِّنُ العَسَرِ، للذي يعملُ بيساره، وأما الذي يعملُ بكلتا يَدَيه فهو أعسَرُ يَسَرٌ بغير ألف، قال: وكان عمر بن الخطاب أَعسرَ يَسَراً[٣]. وقال المسعودي: كانت أم عمر سوداءَ[٤]، وليس كما ذكر، بل كانت سمراءَ.

وكان منزلُه في الجاهلية بمكة، في أصل الجبل الذي يقال له اليوم: جبل عمر، وكان في الجاهلية يقال له: العاقر، وبه كانت منازل عديّ بن كعب.

ذكر خلافته:

قال الواقدي: تُوفي أبو بكر رضي الله عنه ليلة الثلاثاء، لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة، فاستقبل عمر بخلافته يوم الثلاثاء صبيحة يوم مات أبو بكر في ليلته[٥]، وكان سنُّه يوم وَلي الخلافة اثنان وخمسون سنة، وكذا علي رضوان الله عليه.

ذكر أول خطبة خطبها:

حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فقد ابتُليتُ بكم، وابتُليتُم بي، وخَلفتُ فيكم بعد صاحبي، فمن كان بحضرتنا باشَرْناه بأنفسنا، ومَن غاب عنا وَلَّينا أهلَ القُوَّة والأمانة، فمن يُحسن نَزِدْه حسناً، ومَن يُسئ نُعاقبْه، ويغفر الله لنا ولكم.

وقال ابن سعد: قال عمر: اللهمَّ إني شديدٌ فليِّنّي، وإني ضعيفٌ فقوِّني، وإني بخيلٌ فسَخِّني[٦].

وقال حُميد بن هلال: حدَّثنا مَن شهد وفاة أبي بكر رضوان الله عليه، قال: لما فرغ عمر من دفنه نفض يده من تراب قبره، ثم قام خطيباً مكانه فقال: إن الله ابتلاكم بي

(١) المعارف ١٨١.
(٢) تاريخ الطبري ٤/ ١٩٦.
(٣) الصحاح (عسر).
(٤) مروج الذهب ٤/ ١٩٢.
(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٦٦ و ٢٧٤.
(٦) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٧٤ وما قبله وما بعده منه.

وابتلاني بكم، وأبقاني فيكم بعد صاحبي، فوالله لا يَحضُرني شيءٌ من أمركم فيَليه أحدٌ دوني، ولا يتغيَّبُ عني فآلو فيه [عن الجَزْء والأمانة] ولئن أحسنوا لأُحسِنَنَّ إليهم، ولئن أساؤوا لأُنَكِّلنَّ بهم، قال الرجل: فوالله مازال على ذلك حتى فارق الدينا.

وقال: إنما يَحِلُّ لي من مال الله حُلَّتان؛ حُلَّةٌ في الشتاء، وحُلَّةٌ في الصيف، وما أحجُّ عليه وأعتمر من الظّهر، وقُوتي وقوتُ أهلي كقوتِ رجلٍ من قريش، وما أنا إلا رجلٌ من المسلمين.

وقال: إني أنزلتُ نفسي من مال الله منزلةَ اليتيم، إن استغنيتُ استعفَفْتُ، وإن افتقرتُ آكل بالمعروف، [فإن أيسرتُ] قَضيتُ.

إنما يحل لي من هذا المال ما كنتُ آكلاً من صُلْبِ مالي الخلّ والزيت.

ذكر تسميته بأمير المؤمنين:

لما وَلي قيل له: يا خليفة خليفة رسول الله ﷺ، [فقال المسلمون: فمن جاء بعد عمر قيل له: خليفة خليفة خليفة رسول الله] فيطول هذا، ولكن أجمِعوا على اسمٍ يُدعى به مَن بعده من الخلفاء، فقال بعض الصحابة: نحن المؤمنون وعمر أميرُنا، فدُعي أمير المؤمنين، وهو أوّل مَن سُمِّي بذلك[1]. وقال المسعودي: أوَّلُ مَن سمّاه به عديّ بن حاتم، وقيل: المغيرة بن شعبة، وقيل: أبو موسى الأشعري كتب إليه: لعبد الله [عمر] أمير المؤمنين، فلما قرأ الكتاب قال: إني لعبدُ الله وأميرُ المؤمنين، والحمد لله ربّ العالمين[2].

وقعة أجنادين

وهي بلدة بين الرّملة وبيت جِبرين من أعمال فلسطين، وكانت في رجب، وقيل: كانت بعد فتح دمشق، وقيل: كانت قبل اليرموك في حياة أبي بكر، وقيل: كان بأجنادين وقعتان: وقعة في جمادى الأولى وأخرى في رجب.

قال سيف: اجتمع عمرو بن العاص والأمراء بأجنادين فعسكروا بها، وجاءهم

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٨١ وما بين معكوفتين منه.

(٢) مروج الذهب ٤/ ١٩٢-١٩٣.

القُبُقلار نائب الملك، فاقتتلوا، فقُتل القبقلار، واستُشهد جماعة من المسلمين نذكرهم في آخر السنة[١].

ذكر عزل خالد بن الوليد عن الشام

لم يزل عمر ساخطاً على خالد مدّة خلافة أبي بكر لكلام كان يبلغه عنه من الاستخفاف به، واطّراح جانبه، وما كان يُسمّيه إلا باسم أمه وبالأعيسر، وكان أكبر ذنوب خالد عنده قتل مالك بن نويرة بعد إسلامه، وأخذه لامرأته، ودخوله المسجد وعلى رأسه السّهام فيها دم، وكان يحثُّ أبا بكر على عزله، ويُحرِّضه على قتله بسبب قتله لمالك، وكان أبو بكر يتوقّف.

فلما مات أبو بكر وَولي عمر قال: والله لا يلي خالد عملاً أبداً. وقال ابن سيرين: قال عمر بن الخطاب: والله لأعزلن خالداً عن الشام، والمثنى مُثنَّى بني شيبان عن العراق؛ حتى يعلما أن الله يَنصر هذا الدين، وليسا بناصِرَيْه[٢].

قال سيف: فكتب عمر إلى أبي عبيدة: سلام عليك، أما بعد فإني قد عزلتُ خالداً عن جند الشام، وولَّيتُك أمرَهم، فقم به والسلام. فوصل الكتاب إلى أبي عبيدة، فكتم الحال حياءً من خالد، وخوفاً من اضطراب الأمور، ولم يوقفه على الكتاب حتى فُتحت دمشق، وكان خالد على عادته في الإمرة وأبو عبيدة يصلي خلفه، وقدم بهذا الكتاب شَدّاد بن أوس بن ثابت الأنصاري ومَحمِيَة بن جَزْء في رجب.

وقعة فِحل

وسار المسلمون من أجنادين إلى فِحل، وهي بلدة بأرض فلسطين، وقيل: بالأردن، وكان الروم قد اجتمعت بها ونزلت بِبَيْسان، وتقدَّم خالد بن الوليد في المقدمة، فبثقت الروم المياه، وهي أرض سَبْخة، فصارت وَحْلاً، ولم يعلم المسلمون، فلما غشيها خالد وَحِلت خيولُهم، فلقوا منها عناءً، ثم سلمه الله تعالى، وانحازت الروم إلى فِحل، وقصدهم المسلمون، فنصرهم الله عليهم فانهزموا، وغنم

(١) انظر الطبري ٣/ ٤١٧-٤١٨ ، وفتوح البلدان ١٢٠-١٢١ ، وتاريخ دمشق ١/ ٢٣٦ (مخطوط).

(٢) في طبقات ابن سعد ٣/ ٢٨٤ : حتى يعلما أن الله إنما كان ينصر عباده، وليس إياهما كان ينصر.

المسلمون أموالَهم، واستشهد جماعةٌ من المسلمين نذكر أعيانهم في آخر السنة. وكانت الوقعة في ذي القعدة قبل فتح دمشق، وفيها يقول القعقاع بن عمرو: [من الكامل]:

كم من أبٍ لي قد وَرثتُ فعالَه ... جَمِّ المكارم بحرُهُ تَيَّارُ
وَرث المكارم عن أبيه وجدِّه ... فبنى بناءهمُ له استبصارُ
وغداة فِحْل قد رَأَوني مُعلماً ... والخيلُ تَنْحطُ والبَلا أطوارُ
مازالت الخيلُ العِرابُ تَدوسُهم ... في جوف فِحْل والهبا مَوَّارُ
حتى رَمَيْنَ سراتَهم عن أسرهم ... في رَدْغَةٍ ما بعدها استِمرارُ[1]

ذكرُ فتوح دمشق ومرج الصُّفَّر

قال سيف: وسار أبو عبيدة والمسلمون إلى دمشق، فخرج إليهم ماهان قريباً من دمشق، فقاتلهم فهزموه، فدخل دمشقَ.

وقال الواقدي: سار أبو عبيدة نحو دمشق فنزل بمرج الصُّفَّر، واجتمعت الروم إلى ماهان فخرج بهم إلى المرج، واقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزمت الروم، فدخلوا دمشقَ فتحصّنوا بها، وقُتل بمرج الصُّفَّر جماعةٌ من المسلمين نذكرُهم في آخر السنة.

ثم سار المسلمون فنزلوا على دمشق، وبَثُّوا الخَيْلَ ما بين دمشق وحمص، وقطعوا الموادَّ عنها، ونصبوا عليها المجانيق، وجَدُّوا في القتال، وفرَّقَ أبو عبيدة الأُمراء على الأبوابِ: فنزل خالدٌ على باب الجابية، ويزيدُ بن أبي سفيان على باب الصغير، وأبو عبيدة على الباب الشرقي، ونزل أبو الدرداءِ ببَرْزَةَ في جماعةٍ من المسلمين.

وجَدُّوا في القتال ستّين ليلةً، فوهن الرومُ وضَعُفوا، وانقطعت الموادُّ عنهم، واتَّفق أنه وُلِدَ لبطريقٍ ولدٌ، فأكلوا في الليلِ وشَرِبوا، وغَفلوا عن مواقفهم، ولم يعلم بهم إلا خالدٌ لأنه كان يتعرَّفُ أخبارَهم، وكان قد عمل حبالاً مثلَ السلالمِ، واتَّفق مع القعقاع ابن عمرو ومذعور بن عديّ على أنَّهم يتسلَّقون في الحبالِ، وأرسل إلى يزيد بن أبي سفيان وأبي عبيدة وقال: إذا سمعتُم التكبير فاقصدوا الأبواب. وتسلَّق خالد ومَن معه

(١) تاريخ دمشق ١/ ٢٣٩ (مخطوط)، ومعجم البلدان (فحل) ٤/ ٢٣٧.

على باب الجابيةِ، ونزل فقتل البَوَّابين وكسر أغلاق الباب وفتحه، ودخل المسلمون، ووقع الصوت وكبَّروا وفتحوا الباب الصغير، والباب الشرقي، ودخل الناس فصاحوا: الأمان الأمان، والتقى المسلمون في وسط البلد، وقيل: إن الروم فتحوا الباب الصغير والباب الشرقي على الأمان، ودخل خالد من بابِ الجابيةِ عَنوةً، فالتقاه الأُمراءُ في وسط البلد وهذا أصحُّ.

وقال سيف: رابط المسلمون دمشق ستة أشهر[١]، وكان أبو عبيدة استخلف على اليرموك بشيرَ بن كعبٍ، وكانت الرومُ قد اجتمعت بفِحْلٍ، فلم يدر أبو عبيدة بأيِّهما يبدأ بدمشق أم بفِحْل، فكتب إلى عمر يستشيرُه، فضم خالد بن الوليد إلى أبي عبيدة، وأمر عمرو بن العاص بأن يكون مدداً لأهل فلسطين، وكتب: أن ابدؤوا بدمشق فإنَّها حصنُ الشام وبيت مملكتهم، واشغلوا عنكم أهلَ فِحْلٍ بخَيلٍ تكون بإزائهم، فنازلوا دمشق نحواً من سبعين ليلة وهرقل يومئذٍ بحمص، فحالت بين دمشقَ وبينه خيولُ المسلمين وفُتحت دمشق على الوجه الذي ذكرنا.

وقد حكينا عن ابن إسحاق أن وقعةَ فِحْلٍ كانت قبل فتح دمشقَ، وهو الأصحُّ.

وجرى الصلحُ بين أبي عبيدة وأهل دمشق على مُقاسمةِ الدينار والدرهم والعقار، وعلى كل رأسٍ دينار.

واختلفوا في أي سنةٍ فُتحت دمشق؟ فقال سيف: في هذه السنة، وهي سنة ثلاث عشرة، وقال ابن إسحاق والواقدي: في سنة أربع عشرة[٢].

وأصيبت قدمُ أبي الزهراء القُشيري بدمشق، وقيل قدم أخيه، فلما هاجا بنو قُشَير بني جَعْدة فخروا عليهم بذلك، وعدوه من المآثر، فقال نابغة بني جَعْدة: [من البسيط]

فإن تكن قَدمٌ بالشام نادِرَةً ... فإن بالشام أقداماً وأوصالاً

(١) في تاريخ الطبري ٣/ ٤٤١ أن هذا قول الواقدي.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٣/ ٤٣٤-٤٤٢ ، وفتوح البلدان ١٢٧ ، والمنتظم ٤/ ١٤٢-١٤٦ ، وتاريخ دمشق ١/ ٢٤٠ فما بعدها.

وإن يكن حاجبٌ ممّن فَخرتَ به فلم يكن حاجبٌ عمًّا ولا خالا

ثم فَخَر عليهم وقال:

تلك المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبَنٍ شِيبا بماءٍ فعاد الكلُّ أبوالا[1]

ذكر إظهار أبي عبيدة كتاب عمر بعزل خالد

ولما فتحت دمشق أظهر أبو عبيدة كتاب عمر بعزل خالد، وكان عمر كتب إلى أبي عبيدة يَلومه على إخفاء كتابه، فأوقف خالداً عليه، فقال خالد: وهذا الكتاب له مدة وأنت تصلي خلفي ولم تعلمني، فجزاك الله خيراً، وهذا فعلُ ابن حنتمة.

وقد أخرج الإمام أحمد رحمة الله عليه حديثاً في الباب فقال: حدثنا حسين بن علي الجُعفي، عن زائدة، عن عبدالملك بن عُمير قال: استعمل عمر أبا عبيدة بن الجراح على الشام، وعزل خالد بن الوليد، فقال خالد بن الوليد: بعَث عليكم أمينَ هذه الأُمَّة، سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك، فقال أبو عبيدة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خالد سيف من سيوف الله، ونِعم فتى العَشيرة»[2].

ذكر طبريّة وبَيْسان

ثم بعث أبو عبيدة أبا الأعور السُّلَمي إلى طبرية، وعمرو بن العاص إلى بَيْسان وشرحبيل بن حسنة، ففتحوهما عَنوة، وقيل: صلحاً على صلح دمشق وهو الظاهر، وكتب أبو عبيدة إلى عمر بما فتح الله على المسلمين، وبعث إليه بالأخماس، وكتب إليه عمر: أن ابعث إلى العراق مدداً، فبعث القعقاع بن عمرو وهاشم بن عتبة في عشرة آلاف، وذلك بعد فتح دمشق.

كتاب عمر إلى أبي عبيدة في مضي خالد

وكتب عمر إلى أبي عبيدة: أما بعد، فإنْ أَكذب خالدٌ نفسَه فهو أميرٌ على مَن معه، وإن لم يُكذب نفسَه فأنت الأمير على ماهو عليه، ثم انزع عمامتَه عن رأسه، وقاسمه مالَه نصفَين، وبلغ خالداً فقال: فعلها الأُعيسر ابن حنتمة، لا يزال كذا، ودخل على

(١) تاريخ دمشق ١/ ٢٥٠ ، وانظر ديوان النابغة الجعدي ١٠٩ .

(٢) مسند أحمد (١٦٨٢٣).

أخته فاطمة بنت الوليد ـ وكانت عند الحارث بن هشام ـ فقال: ما يَرضى في كذا وكذا، فقالت: والله لا يُحبّك عمر أبداً، وما يريد إلا أن تُكذب نفسَك فيعزلك، فقبّل رأسَها، وأرسل إلى أبي عبيدة وقال: لا أُكذب نفسي أبداً، تعال فقاسمني مالي، فقاسمه حتى أخذ نَعْلاً وأعطاه نعلاً[١]، فتكلّم الناس في عمر وقالوا: هذه والله العداوة، ولم يعجب الصحابة مافعل بخالد، وقد روي أن خالداً امتنع من ذلك، فقام إليه بلال بنُ حمامة المؤذن ليَعْقِلَه بعمامته، فقال له: إيهاً، ماتُريد؟ ونال منه، ثم قال لبلال: افعل ما تُريد، فيقال: إنه عَقَلَه بعمامته.

حديث المثنّى بن حارثة وأبي عبيد[٢] الثقفي

قد ذكرنا وصيّة أبي بكر لعمر رضي الله عنهما أن يندب الناس مع المثنى، فندب عمر النّاس صبيحةَ البيعة بعد مافرغ من دفن أبي بكر، وكان المسلمون يكرهون قتال الفُرس لشدَّة بأسهم، فندب الناسَ ثلاثة أيام، فما انتدب له أحد، فقال: أيها الناس، إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النُّجعة، ولا يَقوى عليه أهلُه إلا بذلك، فسيروا في الأرض التي وعدكم الله في كتابه أن يُورثكموها؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[التوبة: ٣٠]، والله مُظهر دينه، ومعزّ ناصره، ومموّل[٣] أهله مواريثَ الأمم.

وقام المثنى فقال: أيها الناس، لا يَعظمنّ عليكم قتالُ فارس، فإنا قد غلبناهم على السّواد، وقاسمناهم البلاد، وصغُر أمرُهم، وحقر شأنهم. ورغَّب الناسَ في الجهاد، فأولُ مَن انتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي، وقال: أنا أول مَن أجاب، ثم أجاب سعد ابن عُبيد الأنصاري، وسَليط بن قيس وسلمة بن أَسلم وكانا من أهل بدر، فقيل لعمر: أمِّر على الناس رجلاً من المهاجرين الأوَّلين أو من الأنصار، لا تُؤَمِّر عليهم رجلاً من ثَقيف، يعني أبا عبيد، فقال: لا والله، إن الله إنما أعزّ الإسلام بمَن بادر إلى نُصرته، وسارع إلى قتال عدوِّه، وإذا كرهتم لقاءَ العدوّ فأولى بالتَّقدُّم والرياسة مَن أجاب.

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/ ٤٣٧ .

(٢) في (أ) و(خ): وأبي عبيدة، والمثبت من الاستيعاب (٣٠٤١)، الإصابة ٤/ ١٣٠ ، وانظر تاريخ الطبري ٣/ ٤٤٤ ، والمنتظم ٤/ ١٤٤ .

(٣) في الطبري والمنتظم: ومولي.

ثم أمَّر عمر أبا عبيد على الجيش، وكانوا خمسة آلاف، وقيل: سبعة آلاف، وأوصى أبا عُبيد وقال له: اسمع من أصحاب رسول الله ﷺ، وأشركهم في الأمر، لا تَقطع أمراً دون سَليط بن قيس وسلمة، فإن الحرب لا يُصلحها إلا الرجل الذي يَعرف الفُرصة، فقال أبو عبيد: أنا لها.

وكان أول جيش جهزه عمر رضوان الله عليه إلى العراق، ثم بعث بعده يعلى بنَ أميّة إلى اليمن، وأمره بإجلاء أهل نجران؛ لوصيَّة رسول الله ﷺ في مرضه بأن يُخرجوا مَن بأرض العرب مِن اليهود والنصارى، وأوصى بذلك أبو بكر في مرضه.

ثم ند ب عمر أهل الردَّة، فأقبلوا سراعاً من كلّ وجه، فرمى بهم الشام والعراق، وتقدّم المثنّى إلى العراق، فوجد الفُرس قد قتلت شهريار وتوَّجت رُستماً، وجعلت بوران بنت كسرى ـ وهي التي أهدت لرسول الله ﷺ، وقبل هديَّتها ـ عَدْلاً بين الناس؛ إلى أن يَصطلحوا على من يرونه أهلاً. وكان مسير المثنى من المدينة إلى الحيرة في عشر ليالٍ، ولحقه أبو عبيد بعد شهر، وقيل: بعد عشرين يوماً.

قصة النَّمارق

ولما رجع المثنى إلى الحيرة، ولحقه أبو عبيد بلغ رستماً، فكتب إلى دهاقين السَّواد ومَن عندهم أن يثوروا على مَن يليهم من المسلمين، ووعدهم يوماً بعينه، وبعث جُنداً لمصادمة المثنى، وبعث جابان[1] إلى أسفل السواد ليثور على مَن فيه، فنزل بمكان يُقال له: النمارق، وبعث رستم نَرسي، فنزل مكاناً يقال له: زندورد، ونرسي ابن عمّ كسرى[2]، وكانت كَسْكَر قَطيعة له، وثار أهلُ فارس من الدَّهاقين والرَّساتيق وغيرهم من أعلى الفرات إلى أسفل.

وجاء المثنى فنزل خَفّان لئلا يُؤتى من خلفه، فأقام حتى وصل أبو عبيد، وتهيّؤوا للقتال، وجعل أبو عبيد المثنّى على الخيل، وعلى الميمنة والق بن جيدارة، وعلى الميسرة عمرو بن الهيثم، والتقوا على النَّمَارق، فاقتتلوا، فانهزمت الفرس، وأَسر مطر

(١) في (أ) و(خ): وبعث خالد، والمثبت من تاريخ الطبري ٣/٤٤٨ ، وتجارب الأمم ١/١٨٦ .
(٢) في الطبري ٣/ ٤٥٠ ، والمنتظم ٤/١٤٦ ، وتجارب الأمم ١/١٨٦ : ابن خالة كسرى.

ابن فضَّة التيمي جابان مقدّم العساكر، فخدعه بمال فأطلقه، فأخذه المسلمون وأتوا به أبا عبيد، وأخبروه أنه الملك، وقالوا اقتُله، فقال: إني أخاف الله، كيف أقتله وقد أمَّنه رجلٌ من المسلمين، والمسلمون في الأمان كرجل واحد، فاستبقاه، وأسر أكتلُ بنُ شمَّاخ العُكلي[1] مردانشاه، فقتله ولم يعرفه، وكان من عظماء الفرس.

ولما انهزمت الفرس التجؤوا إلى نرسي، وكان بكَسْكَر ومعه ابن خاله بندويه.

وفي وقعة النمارق يقول عاصم بن عمرو: [من الطويل]

لعَمري وما عمري عليَّ بهيِّنٍ لقد صُبِّحت بالخِزي أهلُ النَّمارقِ
بأيدي رجالٍ هاجروا نحو ربِّهم يَجوسونهم ما بين دُرْنا وبارقِ[2]

وبعث أبو عبيد بالغنائم إلى عمر، وهي أول غنيمة وصلت من العراق إليه.

وقعة كَسْكَر

وسار أبو عبيد إلى كسكر، وهي مكان بالعراق، والتقوا، وعلى ميمنة نَرسي وميسرته ابنا خاله بسطام، وهما بندويه وتيرويه، وأبو عبيد على تعبية، وكان رستم قد جهّز الجيوش مع الجالينوس، فأعجلهم أبو عبيد قبل وصوله، وكانت الوقعة بين كَسْكر والسَّقَاطِية، فاقتتلوا في صحارى مُلْس، فنصر الله المسلمين وانهزمت الفرس، وهرب نرسي، وغنم المسلمون أموالَهم، وظفر أبو عبيد بحمًى كان لنرسي لم يكن بالعراق مثلُه، وهو حول كسكر، فلم يفرح المسلمون بشيء كفرحهم به لأجل دوابّهم، وأخذ خزائن نرسي، وبعث الأمراء إلى أماكن، فهزموا مَن كان بها، وأهدى بعضُ الدَّهاقين من أهل زَندورد إلى أبي عبيد طعاماً كثيراً أكرموه به، فقال أبو عبيد: أَكُلَّ الجند أهديتُم له مثل هذا؟ قالوا: لا، قال: فبئس المرءُ أنا إن صحبتُ قوماً ثم أستأثِرُ عليهم بشيء، ولم يأكل منه لقمة.

---

(١) في (أ) و(خ): العجلي، والمثبت من الطبري ٣/ ٤٥٩، والاستيعاب (١٥٨)، والإصابة ١/ ١١٠، والاكتفاء ٤/ ١٢٠.

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٤٥٠-٤٥١.

وقعة الجسر

ولما عاد نَرْسي إلى المدائن مهزوماً جهَّز رستم بَهْمَن جاذويه، وأعطاه درفش كابيان ـ راية أفريدون، وهي راية كسرى العُظمى، وكانت الفُرس تتيمَّن بها ـ فنزل على شرقي دجلة، وأقبل أبو عبيد فنزل غربي دجلة، بمكان يقال له: المَرْوَحَة، مقابلاً لبَهْمَن جاذويه، فأرسلوا إلى أبي عبيد: إما أن تَعبروا إلينا أو نَعبُر إليكم، فقال أبو عبيد: بل نحن نَعبر إليكم، وترك الرأي، ولامه المسلمون، وقالوا: لا، بل هم يَعبرون إلينا كما فعل بهم خالد، فقال أبو عبيد: لايكونوا على الموت أجرأ منا، فعَبر أبو عبيد والمسلمون على جسر نصبوه لهم، في مكان ضيّق المَطْرَد، وقطع الجسرَ أبو عبيد، وقيل: غيره، فقال له سلمة بن أسلم: أيها الرجل، إنه ليس لك علم بما ترى، وقد خالفتنا، فسوف تهلك وتُهلكنا بسوء سياستك، وقال له سليط: ستعلم، فقال لهما أبو عبيد: أَجَبُنْتُما؟! فقال له سليط: إن العرب لم تقاتل فارساً مثل اليوم، فاجعل لها ملجأً، فقال: ما بقي غيرُ القتال، وقد حُمَّ الأمر، فاقتتلوا يوماً.

وكانت الخيول كلما رأت الفِيلة عليها الرجال والتَّجافيف لم تُقدم عليها[1]، والفُرس تُنكي فيهم بالنُّشَّاب، وكان معهم فِيلة يقدمها فيل أبيض تَنفِر منه الخيول، فقال أبو عبيد: هل لهذه الدابّة من مَقتل؟ قالوا: نعم مِشفَره، فحمل عليه أبو عبيد راجلاً، ولم يكن ﷺ رأى فيلاً قط قبل ذلك، وهو ينشد ويقول: [من الرجز]:

يـالـك مـن ذي أربـعٍ مـا أكـبـرك
إنـي لـعـالٍ بـالـحُـسـام مِـشْـفَـرَكْ
يـالـك مـن يـومٍ وغـى مـا أنـكـرك
وهـالِـكٌ وفـي الـهـلاك لـي دَرَكْ

ثم قال للناس: اقصدوا الفِيَلة، وواثب هو الفيلَ الأبيض، فتعلّق ببطنه فقتله، وفعل القوم مثل ذلك، فما تَركوا فيلاً إلا وحَطُّوا رحلَه[2]، وقتلوا أصحابَه، وقُتل من

(١) في المنتظم ٤/ ١٤٧ : وكانت الخيول إذا نظرت إلى الفيلة عليها الحلية، والخيل عليها التجافيف لم تقدم. والتجافيف من آلات الحرب، يوضع على الفرس يتقى بها، كالدرع للإنسان، وانظر تاريخ الطبري ٣/ ٤٥٦.

(٢) في (أ) و(خ): وحطمه رجل، والمثبت من المنتظم ٤/ ١٤٧ ، والطبري ٣/ ٤٥٧ .

الفُرس ستةُ آلاف في المعركة، وأشرفوا على الهزيمة، ثم أهوى أبو عبيد إلى مشفر الفيل الأبيض، فخطمه بالسيف فقطع مِشفره، وصاح الفيل صيحةً هائلةً منكرة، وخبط أبا عبيد خبطةً، ووقع عليه فمات، ولما رأى المسلمون أبا عُبيد تحت الفيل ضَعُفت نفوسُهم، وحاربوا الفيل حتى تَنحَّى عنه، فجرُّوه إلى الرَّحل.

وجال المسلمون جولةً، وركبهم أهلُ فارس، وأخذ اللواءَ سبعةٌ من المسلمين فقتلوا، وقتل الفُرسُ من المسلمين أربعةَ آلاف، وانتهى الباقون إلى الجسر وهو مقطوع فتهافتوا في الفرات، فغرق منهم خلقٌ كثير، وحمى المثنى الناس، وعقد الجسر، وعبر من بقي وهم ثلاثة آلاف، وعبر بعضُ الفُرس في آثارهم، وقيل إن الجسر كان ممدوداً، فقطعه عبدالله بن مَرثَد الثقفي، ثم مَدَّه المثنى وأصحابُه حتى عبر من بقي من المسلمين، ولما قطع الجسرَ عبدالله بن مَرثَد نادى: أيها الناس، موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا، فجاء المثنى فضرب عبدالله وقال: ويحك، ما حملك على ما صنعتَ؟ فقال: ليقاتلوا، فعقد المثنى الجسرَ وقال: أيها الناس اعبروا على هينتكم فأنا دونكم.

وقتل سَليط وسلمة بن أسلم عند الجسر، وجُرح المثنى جراحةً كانت سببَ موته، ونجا بمن بقي من الناس، ولما عبروا ارفضُّوا إلى المدينة، وبقي المثنى في عددٍ يسير، ولما وصلوا المدينة استحيوا من الهزيمة، وسبق القومَ عبدُ الله بن زيد ، فوافى عمر رضوان الله عليه على المنبر، فصعد إليه فسارّه، فترحَّم على أبي عبيد وقال: لو انحاز إليَّ لكنت له فئةً، ثم قال للمنهزمين: أنا فِئتُكم، فطابت قلوبهم.

وقيل: إن الذي قطع الجسر عبد الله بن يزيد [بن زيد] بن حُصين بن عمرو بن الحارث بن خَطْمة الأنصاري، من الأوس، وهو من الطبقة الخامسة من الصحابة ممن هم حدثاء الأسنان، وهو الذي جاء إلى عمر بن الخطاب بحديث الجسر.

قال أبو طوالة وغيره: لما برك الفيل على أبي عبيد يوم الجسر فقتله هرب الناس، فسبقهم عبد الله بن يزيد الخَطْمي فقطع الجسر، وقال: قاتلوا عن أميركم، وكان عمر يتوقَّع خبر أصحابِ الجسر، وكان قد رأى رؤيا فكرهها، فكان يُكثر الخروج يطلب الخبر؛ حتى قدم عليه عبدالله بن يزيد الخطمي فأخبره الخبر.

قال ابن سعد: جاء وعمر رضي الله عنه على المنبر، فقال له: يا عبدالله ما الخبر؟ قالت

عائشة رضي الله عنها: فقمت إلى صِير الباب أنظر منه، ما رأيتُ أحداً كان أثبتَ لذلك الخبر من عمر[١].

وأمُّ عبد الله بن يزيد ليلى بنتُ مروان بن قيس، من بني خَطْمة، وكان له أولاد: موسى وأمُّ الحكم والسَّرِيّة، أمُّهم أم بكر بنت حذيفة بن اليمان، وفاطمة وأمُّ عدي وأمُّ أيوب وحفصة، وسُلَيْمة، وأمُّهم أمُّ هارون بنت مسعود، وقيل: أمُّ الجميع أم بكر بنت حذيفة[٢].

وقيل: إن عبدالله شهد الحديبية وهو مُدرك، وقال محمد بن عمر: لا نعلمه شهد مَشهداً مع رسول الله ﷺ، وولَّاه عبدُ الله بنُ الزبير الكوفة، وشهد أبوه يزيد أُحداً[٣].

وأخرج الإمام أحمد لعبد الله بن يزيد حديثين[٤]. قال المصنف رحمه الله: لم أقف على وفاة عبدالله بن يزيد.

وأما الفُرس فعبر بعضُهم، وهمَّ الباقون بالعبور، فجاءهم الخبر أن الفرس قد ثاروا في المدائن برستم، ونقضوا ماكان بينهم وبينه من العهد، فرجعوا، وتُسمّى هذه الوقعة وقعة قَسّ النّاطف أيضاً، وكانت في رجب سنة ثلاث عشرة، وقيل: كانت في سنة أربع عشرة، وقيل: سنة خمس عشرة، والأول أشهر.

وقعة أُلَّيْس الصغرى

ولما عبر المسلمون عبر خلفهم جابان، وقيل: بهمن جاذَويه، وفرَّق أصحابه ليأخذوا على المسلمين الطُّرق، ونزل جابان أُلّيس فتبعه المثنى في خيل فأخذه أسيراً، وقال: أنت غَرَرْتَ أبا عبيد حتى عبر الجسر، فقتله بأبي عبيد، وقتل أصحابَه، وكتب كتاب أمان لأهل أُلَّيْس، ورجع إلى عسكره، وهرب أبو محجن الثقفي من أُلّيس إلى الطائف، ثم قدم بعد ذلك إلى القادسية مع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(١) طبقات ابن سعد (١٤٠٥) الخانجي، وانظر تاريخ الطبري ٣/ ٤٥٩ .
(٢) في (أ) و(خ): حنظلة، والمثبت من طبقات ابن سعد (١٤٠٥).
(٣) طبقات ابن سعد (١٤٠٥).
(٤) هما في المسند (١٨٧٤٠) و(١٨٧٤١).

قصة البُوَيب

جمع المثنى بعد وقعة الجسر جمعاً عظيماً من العرب، ومَن يليه من أهل البادية؛ ليغير على نهر سُليم، فيأخذ بثأر أبي عبيد، وبلغ الخبر رستم، فجهّز إليه مهران بن باذان ليأتيه من خلفه، وبلغ المثنى فعسكر بالسِّباخ من أرض القادسية وخَفَّان، وبعث إلى جرير ابن عبدالله البَجلي ـ وكان قريباً منه ـ في جمع، فتواعدا البوَيب، واجتمعوا هناك.

وجاء مهران فنزل شرقي الفرات بإزائهم، على موضع يقال له: بَسُوسيا، فقال المثنى: هلك مهران، نزل البسوس والسوء، وأرسل إليهم مهران: إما أن تعبروا إلينا أو نعبرَ إليكم، فقال المثنى: لا نُلدغ من جُحر مرّتين، اعبروا إلينا، ونزل مهران منزلاً يقال له: شوميا فقال المثنى: انهضوا بنا إليهم فقد هلكوا وربِّ الكعبة، انتقلوا من السوء إلى الشؤم.

وحمل المثنى فأبلى بلاءً حسناً، فقُتل مهران، قتله غُلامٌ نصرانيّ من بني تغلب، وقُتل من الفرس مئة ألف، وكان المثنى سببَ الهزيمة، حمل على القلب فأزاله، وغنم المسلمون أموالاً عظيمة، وسار المسلمون ما بين دجلة والفرات، ومن الفرات إلى البرية مما يلي القادسية، واعتصم الفرس بساباط.

وقال ابن إسحاق: لما بلغ عمر وقعة الجسر، شقّ عليه، واتّفق قدوم جرير بن عبدالله البَجلي من اليمن في وفدٍ من بَجيلة، فقال عمر: سمعتُم ما جرى على إخوانكم يوم الجسر، فسيروا إلى العراق، وبعث معهم القبائل من بني عامر بن صعصعة، وأمّر على الجيش عرفجة، فغضب جرير وقال لعمر: استعملتَ علينا رجلاً ليس منا؟ وبلغ عرفجة فغضب، وقال[1]: والله لا أسير معهم، فأمّر عمر جرير بنَ عبدالله البَجلي على بَجيلة.

وسار فنزل قريباً من المثنى، فأرسل إليه المثنى أن: أَقبِل فإنما أنت مَددٌ لي، فأرسل إليه جرير: أنا أمير وأنت أمير، وسأستأذن أميرَ المؤمنين.

وسار جرير يريد الجسر، فلقيه مهران عند النُّخيلة، وكان مهران من عظماء الفرس، وكان شرقيَّ دجلة، فعبر إليه، والتقوا، فطعن المنذر بن حسّان الضبيّ مهران،

(١) في (أ) و(خ): فغضب جرير وقال، وهو خطأ.

فوقع عن فرسه، واقتحم عليه جرير بن عبدالله فاحتز رأسه، ثم اختصما فيه واصطلحا، فأخذ جريرَ سلاحَه، وأخذ المنذر مِنطقته.

وكان مهران قد نشأ باليمن مع أبيه باذان لما كان عاملاً لكسرى عليها، ولما التقى مهران جريراً والمنذر قال: [من الرجز]:

إن تسألوا عني فإني مهران أنا لمن أنكرني ابنُ باذانْ

وكتب المثنى إلى عمر يشكو جريراً، فكتب إليه: كيف أقدّمُك على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ[1].

وكانت وقعة البُوَيْب في رمضان سنة ثلاث عشرة، وذكر ابن سعد أن جريراً شهد وقعة جسر أبي عبيد.

قصة الخنافس

ولما قُتل مهران قيل للمثنى: هاهنا سوق عظيم يُقال له: الخنافس، يجتمع إليه خلقٌ عظيم من الفرس والعرب والدهاقين، فيقيمون بها أياماً يبيعون ويشترون، وفيها أموال عظيمة، فقصدها يوم سوقها، فانتسف السوق ومَن فيه، وقتل وسبى، وغنم وعاد.

قصة بغداد

قال سيف: كان موضع بغداد في أيام الفرس سوقٌ عظيم يقوم في السنة، فذُكرت للمثنى.

وقد أخرج القصّة الخطيب في تاريخه، عن ابن إسحاق بطوله قال: قال أهل الحيرة للمثنى: ألا ندلُّك على قريةٍ تأتيها تجارُ مدائنِ كسرى والسواد، ويجتمعُ بها في كلّ سنةٍ من أموال الناس مثلُ خراج العراق، وهذه أيام سوقهم يجتمعون فيها، فإن أنت قَدرت على أن تُغير عليهم وهم لا يشعرون، أصبتَ منه مالاً يكون منه عزٌّ للمسلمين، وقوَّةٌ على عدوِّهم، وبينها وبين مدائن كسرى يوم واحد. فقال: وأنَّى لي بها؟ فقالوا: خُذ على طريق الأنبار، وبين يديك الأدِلَّاء، فتسير أولَ الليل من الأنبار فتُصبّحها أو تأتيها ضُحىً.

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٤٧١-٤٧٢.

قال: فخرج من النُّخَيلة ومعه الأدِلّاء من أهل الحيرة، حتى نزل الأنبار، فتحصّن منه صاحبُها، فأرسل إليه المثنى: انزل فأنت آمنٌ على دمك وقريتك[١]، حتى ترجع سالماً إلى حصنك، فنزل، فقال: أريد دليلاً إلى بغداد لأعبر منها إلى المدائن، فبعث معه دليلاً، وأخرج لهم الطعام والعلف، وسار حتى قَرُب من بغداد فنزل، وسار في الليل، فصبَّحهم وهم في أسواقهم، فوضع فيهم السيف، فقتل [وأخذ الأموال]، وقال لأصحابه: لا تأخذوا إلا الذهب والفضة، ومن المتاع ما يقدر أحدكم على حمله، ففعلوا، وحملوا من الأموال ما أعجزهم حملُه، وعادوا غانمين[٢].

قال سيف: وكان أهلُ الأنبار قد نقضوا العهد بعد خالدٍ، فأمّنهم المثنى، فأرسلوا إليه بالإقامة عند ذهابه إلى بغداد وعند عوده. وقد ذكرنا أنَّ المثنى أغار على سوق بغداد في أيام خالد بن الوليد، فتكون غارتين.

وحجّ بالناس عمر بن الخطاب، وعند مرجعه من الحج جهّز الجيوش إلى العراق، وقيل: لم يَحجّ في هذه السنة لاشتغاله بتجهيز الجيوش، وبعث عبد الرحمن بن عوف فحجّ بالناس، ثم حج عمر بعد هذه السنة مدّةَ خلافته.

وكان على الطائف عثمان بن أبي العاص الثقفي، وعلى اليمن يَعلى بن مُنْية، وعلى الشام أبو عبيدة، وعلى العراق المثنى بن حارثة، وعلى البحرين العلاء بن الحضرميّ، وعلى القضاء علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفيها توفي

الأَخْنَس

واسمه أُبيّ بن شَريق بن عمرو الثقفي، أسلم يوم الفتح، وسُمّي الأخنس لأنه أشار يوم بدر على بني يربوع بالرجوع إلى مكة[٣]، فرجعوا ولم يشهدوا بدراً، فسلموا من

(١) في (أ) و(خ): وقومك، والمثبت من (ك).

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٢٦ ، والمنتظم ٤/ ١٥٠ .

(٣) في السيرة ١/ ٢٨٢ و ٦١٩ ، وطبقات ابن سعد (١٠٧٧) الخانجي، والمنتظم ٤/ ١٥٢ ، والإصابة ١/ ٢٥ أنه رجع ببني زهرة.

القتل، فخَنَس بهم أي: تأخّر.

شهد مع رسول الله ﷺ حُنيناً، وأعطاه مع المؤلَّفة قلوبهم، وله صحبة ورؤية، وليس له رواية، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[البقرة: ٢٠٤][(١)].

أبان بن سعيد

ابن العاص بن أمية بن عبدشمس، أبو الوليد، وقيل: أبو سعيد، من الطبقة الثالثة من الصحابة، أسلم بين الحُديبية وخيبر، وهو الذي حمل عثمان على فرس عام الحديبية، وأجاره حتى دخل مكة، وبَلَّغ رسالة رسول الله ﷺ وقال له: [من المنسرح]:

أقبلْ وأدبِرْ ولا تَخَفْ أحداً بنو سعيدٍ أعزَّةُ الحرمِ[(٢)]

واستعمله رسول الله ﷺ في بعض سراياه، وولَّاه البحرين بعد العلاء بن الحَضْرميّ، ولما تُوفّي رسول الله ﷺ قدم على أبي بكر، فقال له: ارجع إلى عملك، فقال: لا أعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ، وخرج إلى الشام غازياً فاستشهد بأجنادين، وقيل باليرموك، وقيل بمرج الصُّفَّر، وقيل: عاش إلى سنة تسعٍ وعشرين، والأول أشهر.

قال ابن عساكر: وهو الذي قدم على رسول الله ﷺ، فقال له: كيف تركتَ مكة؟ فوصفها وقال: تركتُ أهلها وقد جبذوا، والإذخر قد اغْدَوْدَق، والثُّمام قد أَخْوَص، فاغرورقت عينا رسول الله ﷺ بالدموع، ثم قال: أنا أفصحكم، ثم أبان بعدي[(٣)]. روى أبان الحديث عن رسول الله ﷺ.

فأما أبوه سعيد بن العاص فكان من سادات قريش وأشرافِها، وكان له عدَّةُ أولاد، منهم أُحيحة، وعبيدة، والعاص، قتلوا كفاراً، وأبان وخالد وعمرو وسعيد والحكم، واستشهدوا في سبيل الله.

فأما أُحيحة فقتل يوم الفِجار، وأما عبيدة فطعنه الزُّبير يوم بدر في عينه بالعَنَزة

(١) انظر تفسير الطبري ٤/ ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) الاستيعاب (٥٠)، والتبيين ١٩٢، وتاريخ دمشق ٢/ ٢٩٧، والإصابة ١/ ٤١.

(٣) تاريخ دمشق ٢/ ٢٩٦.

فمات، وهو الذي يُكنى: أبا ذات الكرش، وأما العاص فقتله علي يوم بدرٍ كافراً، ولقي عمر رضي الله عنه سعيد بن العاص يوماً، فقال له: تَزعم أني قتلتُ أباك، وَدِدتُ أني فعلتُ ذلك، ما قتله إلا علي، ولكن قتلتُ خالي بيدي العاص بن هشام، فقال له سعيد: يا أمير المؤمنين لو قتلتَه لكنت على حقٍّ، وهو على باطل[1]. وأما الذي استشهد من ولد سعيد فسنذكرهم في نواحيهم.

قال عبدالله بن عمرو بن سعيد بن العاص: كان خالد وعمرو ابنا سعيد بن العاص قد أسلما، وهاجرا إلى الحبشة، وأقام غيرهما من ولد أبي أحيحة سعيد بن العاص على ما هم عليه، ولم يسلموا حتى كان يوم بدر، فخرجوا يوم بدر، ولم يتخلَّفْ منهم أحد، فقُتل العاص بن سعيد كافراً، قتله عليّ، وقَتل الزبيرُ عبيدة بنَ سعيد، وأفلت أبان ابن سعيد.

وكان خالد وعمرو ابنا سعيد يكتبان من الحبشة إلى أخيهما أبان، يقولان: الله الله أن تموتَ على ماماتَ عليه أبوك، وقُتل عليه أخواك، فيغضب من ذلك ويقول: لا أفارق دينَ آبائي، وكان أبوه قد مات بماله بالطائف بالظُّرَيْبة كافراً، فقال أبان: [من الطويل]:

ألا ليت ميتاً بالظُّرَيبة شاهداً ... لما يفتري في الدين عمرو وخالدُ
أطاعا بنا أمرَ النساء فأصبحا ... يُعينان من أعدائنا مَن نُكايدُ

فقال خالد بن سعيد: [من الطويل]:

أخي ما أخي لا شاتمٌ أنا عِرضه ... ولا هو عن سوء المقالة مُقْصِرُ
يقول إذا اشتدّت عليه أمورُه ... ألا ليت مَيتاً بالظُّرَيْبة يُنشَرُ
فدع عنك ميتاً قد مضى لسبيله ... وأقبلْ على الحيِّ الذي هو أفقرُ

وأقام أبان بمكة على حاله كافراً إلى زمن الحُديبية، فلما بَعث النبيُّ ﷺ عثمان بنَ عفان في رسالة إلى قريش، أجاره أبان حتى بلَّغ الرسالة، وعاد إلى رسول الله ﷺ، [وعاد رسول الله ﷺ] إلى المدينة.

(١) التبيين ١٩٣-١٩٤.

وأقبل خالد وعمرو من الحبشة في السفينتين، وكانا آخر من هاجر منها، فكتبا إلى أبان يدعوانه إلى الإسلام، فأجابهما، وقدم المدينةَ على إثرهما مسلماً، وخرجوا إلى خيبر سنةَ سبعٍ من الهجرة، ورسول الله ﷺ بها، فأسهم لهم، ثم قاموا بالمدينة إلى سنة تسع، فبعث رسول الله ﷺ أباناً عاملاً على البحرين، وكتب له كتاب الصدقات.

وسأل أبان رسول الله ﷺ أن يحالف عبد القيس، فأذن له، فقدم البحرين ومعه لواء أبيض وراية سوداء، فحمل لواءه أبو رافع مولى رسول الله ﷺ، فلما قارب البحرين تَلقَّاه المنذر بن ساوى في ثلاث مئةٍ من قومه، وعبد القيس على ليلةٍ من منزله، فاعتنقا، ورحَّب به المنذر، وسأله عن رسول الله ﷺ، فأخبره أن رسول الله ﷺ قد شفعه في قومه.

وأقام أبان بالبحرين يأخذ الصدقات والجزية والعشور، فاجتمع عنده مال، فكتب إلى رسول الله ﷺ يُخبره، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين، فحمل المال إلى رسول الله ﷺ.

فلما تُوفي رسول الله ﷺ، وارتدّت العرب، وارتدّ أهلُ هجر، قال أبان بن سعيد لعبد القيس: بلِّغوني مَأمني، فقالوا: بل أقم عندنا نجاهد معك في سبيل الله، فنحن قد ثبتنا على إسلامنا، والله مُعزّ دينه ومظهره، فقال: أبلغوني مأمني، يكون لي أسوةٌ بأصحابي، فما مثلي مَن يَغيب عنهم في هذا الوقت، أحيا بحياتهم، وأموت بموتهم، فقال له الجارود العبدي: لا تفعل، أنت عندنا أعزُّ الناس، وعلينا وعليك في هذا وَهن عظيم، يقال: فرَّ من القتال، ولامه الجارود، وقال: أَنشُدك الله أن تَخرج من بين أظهُرنا، فإن دارنا مَنيعةٌ، ونحن لك سامعون مطيعون، ولو كنتَ اليوم بالمدينة لبعثك أبو بكر إلينا، فأبى عليهم، فجهّزوا معه ثلاث مئة منهم.

وكان معه من مال الصدقة مئةُ ألف درهم، فلما قدم على أبي بكر لامه على القدوم، فقال ألا ثبتَّ مع قومٍ لم يُغيّروا ولم يُبدّلوا ، فقال أبان: وهم على ذلك، وأثنى عليهم، قال: فارجع إليهم، فقال أبان: لا أعمل لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ، وقال له عمر: ما كان حقّك أن تَقدم المدينة بغير إذن إمامك، وقال لأبي بكر: أَكرِهْه على

العمل والرجوع إليهم، فقال أبو بكر: لا والله لا أُكرهه بعد أن قال لا أعمل لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ، ثم بعث أبو بكر العلاء بن الحَضرميّ إليهم(١).

بَشير بن عَنْبس

ابن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر، من الطبقة الثانية من الأنصار، شهد أحداً وما بعدها، ولم يشهد بدراً، وأمُّه من الأزد، ويُقال له: فارس الحواء، اسم فرس له، واستشهد يوم جسر أبي عُبيد(٢).

ولده سهل بن بشير، استشهد يوم القادسية، فولد سهل عبد الله، وأمُّه الفُرَيعة بنت مالك، وخالاه قتادة بن النعمان وأبو سعيد الخدري، وهما أخوال الأم(٣).

تميم بن الحارث

ابن قيس بن عديّ السَّهمي، من الطبقة الثانية من الصحابة، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية. وكانوا ستة أخوة: تميم وسعيد وأبو قيس وعبد الله والسائب والحجاج بنو الحارث.

فأما تميم فاستشهد يوم أجنادين، وأما أخواه سعيد وأبو قيس فمن مهاجرة الحبشة، وأما السائب فخرج يوم الطائف واستشهد بفِحْل، وأما الحجَّاج فأُسر يوم بدر.

وكان أبوهم الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص القرشي، أحد المستهزئين برسول الله ﷺ، وهو ابن الغَيْطلة، وهي أمُّه(٤).

ثعلبة بن عمرو بن مِحْصَن الأنصاري

من الطبقة الأولى من بني النجار، وأمُّه كَبْشة بنت ثابت أخت حسّان الشاعر، شهد

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٩٥-٢٩٨ .

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٦٠ (٥١٠)، والاستيعاب (١٨٧)، والاستبصار ٢٥٧ ، والمؤتلف والمختلف للدارقطني ٣/ ١٥٣٦ ، والإكمال ١/ ٢٨٨ و ٦/ ٨٢ ، والإصابة ١/ ١٥٩ .

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٦٠ (٥١٠).

(٤) طبقات ابن سعد ٤/ ١٩٤-١٩٦ ، والاستيعاب (٢٣٦)، والتبيين ٤٦٦-٤٦٨ ، والإصابة ١/ ١٨٤ .

بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، واستشهد يوم جسر أبي عبيد، وله عقب، وقيل توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه[١].

الحجاج بن الحارث

هاجر إلى الحبشة المرة الثانية، من الأنصار، شهد أحداً وما بعدها، وفي شهوده بدراً خلاف، واستشهد بأجنادين[٢].

الحارث بن عدي

ابن مالك بن حَرام، من الطبقة الثانية من الأنصار، شهد أحداً وما بعدها، واستشهد يوم جسر أبي عبيد[٣].

الحارث بن هشام

ابن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مَخزوم، أخو أبي جهل، وكنيته أبو عبدالرحمن، حضر أحداً مع المشركين، ولم يزل متمسِّكاً بالشرك إلى يوم الفتح؛ حتى استأمَنَتْ له أمُّ هانئ بنت أبي طالب، فأسلم وحسن إسلامه، وهو من الطبقة الخامسة، شهد حُنَيناً والطائف مع رسول الله ﷺ، وأعطاه مئةً من الإبل مع المؤَلَّفةِ قلوبهم.

ولم يزل مقيماً بمكة بعد [أن أسلم حتى] وفاة رسول الله ﷺ، وهو غير مَغْموصٍ عليه في إسلامه، وهو الذي انهزم يوم بدر وكان مع المشركين، فعيَّره حسان بن ثابت فقال: [من الكامل]

إن كنتِ كاذبةَ الذي حَدَّثْتِني ... فنجوتِ مَنْجى الحارث بنِ هشام
تركَ الأحبَّةَ أن يُقاتلَ عنهمُ ... ونجا برأسِ طِمِرَّةٍ ولجامِ[٤]

وقال الحارث يعتذر: [من الكامل]

الله يَعلمُ ما تركتُ قتالَهم ... حتى رَمَوا فرسي بأشقَرَ مُزْبِدِ

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٠٨ ، والاستيعاب (٢٧٢)، والإصابة ١/ ٢٠٠ .
(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ١٩٦ ، والاستيعاب (٥٢١)، والإصابة ١/ ٣١٠ .
(٣) الاستيعاب (٤٥٠)، والإصابة ١/ ٢٨٤ .
(٤) ديوانه ١/ ٢٩ ، والسيرة ٢/ ١٧ .

ووجدتُ ريحَ الموت من تلقائهم ... في مأزقٍ والخيلُ لم تَتَبَدَّدِ
فعلمتُ أني إن أُقاتل عنهم ... أُقتلْ ولا يَنْكِي عدوِّيَ مَشهدي
وصددْتُ عنهم والأحبَّةُ فيهمُ ... طمعاً لهم بعقابِ يومٍ مُفْسِدِ[1]

قال خلف الأحمر: أبياتُ هُبيرة بن أبي وَهْب في الاعتذار عن الفرار خيرٌ من أبيات الحارث، وهي: [من الطويل]

لعَمْرُك ما وَلَّيتُ ظهري محمداً ... وأصحابَه جُبْناً ولا خِيفةَ القتلِ
ولكنني قَلَّبْتُ أمري فلم أجد ... لسَيفي غناءً إن ضربتُ ولا نَبْلي
وقفتُ فلما خِفتُ ضيعةَ مَوقفي ... رجعتُ لعَودٍ كالهِزَبْر أبي الشِّبْلِ[2]

وكان الحارث سيِّداً في قومه، شريفاً في الجاهلية، ورُوي أن النبي ﷺ ذكرَ فِعلَه في الجاهلية في قِرى الأضياف وإطعامِ الطعام، فقال: إنه لسَرِي، وكان أبوه سَرِيًّا، ووَدِدْتُ أن الله هداه إلى الإسلام.

وكان الحارث جواداً شاعراً فاضلاً، وفيه يقول الشاعر: [من الكامل]

أحسبت أن أباك حين تَسبُّني ... في المجد كان الحارثَ بنَ هشامِ
أَولى قريشٍ بالمكارم كلِّها ... في الجاهلية كان والإسلامِ[3]

قال الواقدي: لم يزل الحارث مُقيماً بمكة، حتى جاء كتابُ أبي بكر يَستنفر الناس إلى الشام لجهاد العدوّ، فاستعدّ للخروج[4].

وقال الزبير بن بكار: تجهَّز الحارث من مكة غازياً، فخرج بماله إلى الشام وأهله، وتبعه أهلُ مكة يبكون عليه، وذلك في خلافة عمر بن الخطاب، فبكى وقال: والله لو كنت مستبدلاً داراً بدار، وجيراناً بجيران، ما أردتُ بكم بدلاً، وفي رواية: والله ما خرجتُ رغبةً بنفسي عنكم، ولا أختار بلداً غيركم، ولكن كان هذا الأمر، فخرجتْ فيه

(١) السيرة ٢/ ١٨ ، والاستيعاب (٤٦٦)، والتبيين ٣٥٧ .
(٢) في (خ): كالهزبر بن الشبل، وفي التبيين ٣٥٧ : كالهزبر إلى الشبل، وفي السيرة ٢/ ٢٦٧ : صددتُ كضرغام هزبر أبي شبل.
(٣) التبيين ٣٥٧ ، والاستيعاب (٤٦٦).
(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٤٤ و ٧/ ٤٠٤ .

رجالٌ من قريش، والله ماكانوا من ذوي أسنانها، ولا في بيوتها، فأصبحنا ولو أن جبال مكة ذهبٌ أنفقناها في سبيل الله ما أدركنا يوماً من أيامهم، ولئن فاتونا في الدّنيا لنَلْتَمسنَّ أن نُشاركهم في الآخرة[١].

وقال الواقدي: إنما خرج الحارث إلى الشام في خلافة أبي بكر، هو وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل غزاة، فنزلوا المدينة، فأتاهم أبو بكر في منازلهم، فسلَّم عليهم ورَحَّب بهم، وسُرَّ بقُدومهم[٢]، وهذا أَصَحّ.

واستشهد الحارث في سنة ثلاث عشرة بأجنادين.

وقال ابن الأعرابي: مرَّ خالد بن الوليد يوم اليرموك بالحارث وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وجماعة من بني المغيرة وغيرهم وهم صَرعى عِطاش، [فأتوا بماء]، فتدافعوه، ينظر عكرمة إلى سهيل وهو ينظر إليه، فقال ابدؤوا به، فماتوا ولم يشربوا، فبكى خالد وقال: بنفسي أنتم[٣].

وقال الواقدي: مات الحارث بطاعون عمواس سنة ثماني عشرة[٤]، ويقال: إنه عاش إلى أيام عثمان، وذهب بصره.

ذكر أولاده: كان له من الولد عبدالله: وُلد على عهد رسول الله ﷺ، ولا صُحبة له، وحديثُه مُرسل.

وعبد الرحمن، كنيته أبو محمد، وكان اسمُه إبراهيم، فغيَّره عمر لما غيَّر أسامي الناس، وكانت عائشة رضوان الله عليها تُثني عليه[٥]، وسنذكره سنة تسع وخمسين.

وأم حكيم زوجة عكرمة بن أبي جهل، أسلمت يوم الفَتْح، وتزوَّجها خالد بن سعيد بن العاص.

روى الحارث الحديثَ عن رسول الله ﷺ.

---

(١) الاستيعاب (٤٦٦)، والتبيين ٣٥٧-٣٥٨ ، وتاريخ دمشق ٤/ ١٤٠ (مخطوط)، والتوابين ١٤٥ .

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٠٤ .

(٣) الاستيعاب (١٩٩١)، والتوابين ١٤٣-١٤٤ ، والتبيين ٣٦٥ .

(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٤٤ و ٧/ ٤٠٤ ، وانظر تاريخ دمشق ٤/ ١٤١-١٤٤ .

(٥) طبقات ابن سعد ٥/ ٥ وأنساب الأشراف ٥/ ٢٤٠ ، والتبيين ٣٦٠ .

خالد بنُ سعيد

ابن العاص بن أُمية بن عبدشمس بن عبد مناف بن قُصَيٍّ، أبو سعيد الأموي، من الطبقة الأولى من المهاجرين.

قال ابن سعدٍ: وأمُّ خالد بنتُ خَبَّاب بن عبد ياليل من كنانة[١].

أسلم قديماً لرؤيا رآها، ذكرها أبو اليقظان وموسى بنُ عقبة، عن أمِّ خالد بنت خالد بن سعيد قالت: قال أبي: لما كان قُبيل المبعث، رأيتُ في المنام كأن ظُلمةً غَشِيت مكَّة، حتى لا يُبصِرُ أحدٌ كفَّه، ثم ظهر نورٌ فعلا في السماء، فأضاء البيتَ ومكَّة، ثم امتدَّ الضوء إلى نجدٍ ويثرب، حتى إني لأنظر إلى البُسْر في النخل، قال: فانتبهتُ، فقصصتُها على أخي عمرو بن سعيد، وكان جَزْلَ الرأي فقال: يا أخي، إنَّ هذا الأمر سيكون في بني عبد المطلب، قال خالد: فهداني الله إلى الإسلام، ثم ذكرها بعد إسلامه لرسول الله ﷺ فقال: «أنا ذلك النورُ»[٢].

قالت أم خالد: فأبي والله أوَّل الناس إسلاماً، ثم عمّي عمرو بن سعيدٍ بعده.

وقد ذكر هذه الرؤيا ابن سعدٍ عن خالدٍ قال: رأيتُ ظُلمةً غشِيت مكَّة، فخرج نورٌ من زمزم مثل ضوء المصباح، فارتفع وعلا وسطع، فملأ السهل والجبل، ثم انحدر إلى يثرب حتى أضاءَ البُسْرَ في النخل، وسمعتُ قائلاً يقول في الضوء: سبحانه سبحانه، ذهبت الظُّلمةُ، وهلك ابن ماردٍ بهضبة الحصى بين أَذْرح والأكمة، سَعِدت هذه الأُمة، جاء نبيُّ الأميين، وبلغ الكتابُ أجلَه، كذبته هذه القرية، بَعدت بَعدت مرَّتين، فقصها على أخيه عمرو بن سعيد فقال له: إن هذا الأمر في بني عبدالمطلب، ألا ترى أن النور من حُفْرة أبيهم[٣]؟!

وذكر الشيخ الموفق في الأنساب قال: قالت أم خالد بنت خالد: كان أبي خامساً في الإسلام تقدَّمه عليٌّ وأبو بكر وزيد بن حارثة وسعد بن أبي وقّاص.

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٩٤.

(٢) تاريخ دمشق ٥/ ٤٤٨ (مخطوط)، وقال الدارقطني: هذا حديث غريب.

(٣) طبقات ابن سعد ١/ ١٦٦.

قال: وقال الواقدي: كان بدءُ إسلامه أنه رأى في المنام أنه وُقِف به على شفير النار، فذكر من نعتها ماالله أعلم به، وكأن أباه يدفعه فيها، ورأى رسول الله ﷺ آخذاً بحَقْوَيْه يمنعُه من الوقوع فيها، ففزع، فلما أصبح لقي أبا بكرٍ فأخبره، فقال له: قد أُريدَ بك خيرٌ، هذا رسول الله فاتَّبعْه، فإنه يُخلّصك من أن تقع في النار، وأبوك واقعٌ فيها. فلقي رسول الله ﷺ بأجياد، فقال له: إلام تدعو يا محمد؟ فقال: إلى الله وحده لا شريك له، وأني عبده ورسوله، وخَلْعِ ما أنت عليه من عبادة حجرٍ لا يضرُّ ولا ينفع، ولا يُبصر ولا يسمع، قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسولُ الله، فسرَّ رسولُ الله بإسلامه.

وعلم أبوه أبو أُحيحة بإسلامه، فأرسل في طلبه مَن بقي من إخوته، ولم يكونوا أسلموا، فأَتَوْه به، فأنَّبه أبوه وشتمه، وضربه بمِقرعة في يده حتى كسرها على رأسه، وقال له: أتبعت محمداً وأنت ترى خلافَه قومَه، وما جاء به من عيبِ آلهتهم وآبائهم؟ فقال خالد: أي والله قد اتَّبعتُه فافعل ما بدا لك، فقال: اذهب يا لُكَع حيث شئت، فوالله لأمنعنَّك القُوت، فقال خالد: إن منعتَني فإن الله يَرزقني ما أعيشُ به، فأخرجه وقال لإخوته: لا يكلِّمه أحدٌ منكم إلا صنعتُ به مثل ما صنعت به، فانصرف خالد إلى رسول الله ﷺ فلزمه، وكان يعيش معه حتى خرج أصحابُ رسول الله ﷺ إلى الحبشة الهجرة الثانية فخرج معهم(١).

وقال هشام: مرض أبو أُحَيْحة فقال: لئن عافاني الله من مرضي هذا لا يُعبد إله ابن أبي كَبْشةَ بمكة أبداً، فقال خالد: اللهمَّ لا تَشفِه، فمات من مرضه ذلك.

وقال الواقدي: قالت أم خالد بنت خالد: هاجر أبي إلى الحبشة المرة الثانية، فأقام بها بضعَ عشرة سنة، ووُلدتُ أنا بها، ثم قدم على النبي ﷺ بخيبر، فكلَّم المسلمين فيه فأسهموا لنا، ثم رجعنا مع النبي ﷺ إلى المدينة فأقمنا بها، وشهد أبي مع رسول الله ﷺ عمرة القَضِيَّة وفتح مكة وحنيناً والطائف وتبوك، وبعثه رسول الله ﷺ على صدقات اليمن، فتُوفّي رسولُ الله ﷺ وأبي باليمن(٢).

(١) التبيين ١٨٧-١٨٨ ، وطبقات ابن سعد ٤/ ٩٤-٩٥ .

(٢) التبيين ١٨٨-١٨٩ ، وطبقات ابن سعد ٤/ ٩٥-٩٦ .

قالت: وأول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم بين يدي رسول الله ﷺ أبي.

وقال هشام: كان خالد بن سعيد على اليمن، وأخوه أبان على البحرين، وأخوهما عمرو على تيماء وخيبر، فلما توفي رسولُ الله ﷺ قدموا المدينة، فقال لهم أبو بكر رضوان الله عليه: ما لكم رجعتم عن عمالتكم، ارجعوا إليها، فما أجد أحداً أحقّ بالعمل من عمال رسول الله ﷺ، فقالوا: نحنُ بنو أبي أحيحة لا نعمل لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ، ثم مضوا إلى الشام فاستشهدوا جميعاً. ويقال: ما فُتحت بالشام كورةٌ إلا ووجدوا عندها رجُلاً من بني سعيد قتيلاً[١].

وقد ذكرنا أن أول لواءٍ عقده أبو بكر لخالد بن سعيد، وأن عمر كلَّمه فيه فعزله، وولَّى يزيد بن أبي سفيان.

وقال ابن قتيبة: استعمل رسول الله ﷺ خالد بن سعيد على صدقات بني زبيد، فصارت إليه الصَّمصامة التي لعمرو بن معدي كرب، فلم تزل عند ولده حتى اشتراها محمد بن المهدي بن أبي جعفر بعشرين ألف درهم[٢].

وقال سيف بن عمر: تزوَّج خالد بن سعيد بأم حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومي، وأمُّها فاطمة بنت الوليد بن المغيرة، أخت خالد بن الوليد، وإليها تُنسب قَنطرة أمِّ حكيم بمرج الصُّفَّر، ولها صحبةٌ، وهي التي أسلمت يوم الفتح، واستأمنت لزوجها عكرمة بن أبي جهل، وخرجت خلفه، وكان قد هرب إلى البحر، وقد ذكرناه.

واختلفوا في وفاة خالد بن سعيد[٣]: فقال الواقدي: استشهد بمرج الصُّفر. وقال الهيثم: بأجنادين. وقال أبو اليقظان: بفِحْل. والأول أصحّ.

قال الواقدي: شهد خالد أجنادين وفِحلاً، وجاء فنزل مرجَ الصُّفَّر، وكانت أم حكيم بنت الحارث بن هشام تحت عكرمة بن أبي جهل، فقُتل عنها باليرموك، فاعتدَّت بأربعة أشهرٍ وعشرة أيامٍ، ثم تزوَّجها خالد بن سعيد، وأصدَقها أربع مئة دينارٍ، وكان

(١) التبيين ١٨٩ .

(٢) المعارف ٢٩٦ .

(٣) انظر لاختلافهم طبقات ابن سعد ٤/ ٩٨ ، والمعارف ٢٩٦ ، والاستيعاب (٦٠٦)، وتاريخ دمشق ٥/ ٤٥١-٤٥٩ ، والإصابة ١/ ٤٠٦-٤٠٧ ، والتبيين ١٨٩ .

الروم بمقابلة المسلمين، فأراد خالد أن يُعرّس بها فقالت: لو أخَّرت ذلك حتى تنفضَّ الجموعُ، فقال: نفسي تُحدّثني أنني أصابُ في هذه المرة، فقالت: دونك، فأعرس بها عند القنطرة التي بمرج الصُّفَّر، وبها سُميت قنطرة أم حكيم، وأولم عليها، ودعا أصحابه، فما فرغوا من الطعام، حتى صَفَّت الرومُ صفوفَها، والتقوا، وصبر الفريقانِ، وتصافحوا بالسيوف، حتى سُمع وقْعُها على الحديد، وقاتلت أم حكيم بعمود الفُسطاط، حتى قتلت سبعةً من الروم[١].

وقال الموفق في الأنساب عن الأموي قال: حمل خالد وهو يقول: [من الكامل]:

مَن فارسٌ كَرِه الطِّعانَ يُعيرني رُمحاً إذا نزلوا بمَرْج الصُّفَّرِ

فحمل عليه رجلٌ من القوم، فقتله، ثم قلب الروميُّ ترسه، وجاء إلى صفِّ المسلمين مُستأمِناً، فقيل له: مالك؟ فقال: رأيتُ حين قتلتُه قد سَطع منه نورٌ مثلُ السارية، حتى بلغ عَنان السماء[٢].

وقال هشام: حمل خالد في وسط الروم، فخرق الصفوف، فقتلوه على النهر.

وقال ابن عائذ: أقام مع أم حكيم سبعةَ أيامٍ، والأوَّل أشهر، وقيل: إن خالد بن سعيد فُقِد يوم اليرموك[٣]، والأصحُّ أنه قُتل بمرج الصفر على ما ذكرنا.

قلت: وربما سمع سامع قول الواقدي: فأعرس بها عند قنطرة أم حكيم وبها سُمِّيت، فظنها قصرَ أم حكيم، وليس كذلك، لأن قنطرة أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام عند النهر القريب من الكسوة، وقصر أم حكيم قِبَليّ مرج الصفر، قريباً من غباغب، وأم حكيم التي نُسب إليها القصر هي بنت يحيى، وقيل: بنت يوسف بن يحيى ابن الحكم بن العاص بن أمية، وذكرها الزبير بن بكار، وأمها زينب بنت عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام، كانت شاعرة، تزوجها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، وطلقها، فتزوجها هشام بن عبدالملك، فولدت له يزيد بن هشام.

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٩٨-٩٩ .

(٢) التبيين ١٩٠ ، وتاريخ دمشق ٥/ ٤٥٧ .

(٣) انظر تاريخ الطبري ٣/ ٤٠٢ .

وكانت لها دارٌ بدمشق، وسوق يقال له: سوق أم حكيم، وبنت القصر المشار إليه، وكانت تخرج فتقيم به.

ويقال: إنه لما تزوجها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك تزوج عليها ابنة لأبي بكر ابن عبدالرحمن بن أبي بكر، فحظيت عنده، فطلَّق أمَّ حكيم، فتزوَّجها هشام بن عبدالملك، فلما مات عبدالعزيز بن الوليد تزوج هشام ابنة أبي بكر بن عبد الرحمن، فجمع بينهما، ثم طلَّق هشام ابنة أبي بكر وأبقى أم حكيم، وقال لها: قد أَقَدْتُك منها، كما فعل بك عبدالعزيز حيث طلقك وأبقاها، فولدت لهشامٍ محمداً ويزيد ابني هشام[١].

ذكر أولاد خالد بن سعيد: كان له من الولد عبدالله وسعيد وأم خالد، ولدوا بالحبشة، فأما سعيد فكساه رسول الله ﷺ حلةً فيها حرير، فبها سُمّيت الثياب السعيدية، وولد سعيدٌ بن خالد أربعين ولداً: عشرين ذكراً وعشرين أنثى، ومن ولده عمرو بن سعيد الأشدق الذي قتله عبدالملك بن مروان، وكان شُجاعاً فَطِناً، قال له معاوية: إلى من أوصى بك أبوك؟ فقال: أوصى إليّ، وما أوصى بي[٢].

وأما أم خالد فاسمها أمة، وأمُّها هُمينة بنت خلف بن أسعد الخُزاعية، ولدتها بأرض الحبشة، قالت أم خالد: سمعت النجاشيَّ يوم خرجنا يقول لأصحاب السفينتين: اقرؤوا جميعاً على رسول الله ﷺ مني السلام، قالت أمة: فكنتُ فيمن أقرأ رسول الله ﷺ من النجاشي السلام.

وروت أم خالد عن رسول الله ﷺ أحاديث.

وقال الواقدي: تزوج الزبير بن العوام أمة بنت خالد، فولدت له عمراً وخالداً ابني الزبير[٣].

السائب بن الحارث

ابن قيس بن عديّ السَّهمي، من الطبقة الثانية من المهاجرين، هاجر إلى الحبشة

(١) انظر الأغاني ١٦/ ٢٧٧ ، ومعجم البلدان ٤/ ٣٥٥ .

(٢) المعارف ٢٩٦ ، والتبيين ١٩٠ .

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ٩٧ ، والاستيعاب (٣٢٤١)، وتاريخ دمشق ٥/ ٤٥٢ ، والتبيين ١٩٠ .

الهجرة الثانية، وجُرح يوم الطائف، وقُتل بعد ذلك بفِحْل بسواد الأردن سنة ثلاث عشرة، في أول خلافة عمر[١].

سعد بن سلامة بن وَقْش

من الطبقة الثانية من الأنصار، من بني عبد الأَشْهل، وأمه سُهيمة بنت عبدالله من الأوس، شهد أحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، واستشهد يوم جسر أبي عبيد، وليس له عقب[٢].

سَلمة بن أَسلَم

ابن حَريش بن عَدي بن مَجْدَعة، أبو سعد، من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وهو الذي كُسر سيفُه يوم بدر، وأعطاه رسول الله ﷺ لَحْي جمل، فصار بيده سيفاً، وخرج به في جيش أسامة بن زيد، الذي جَهَّزه أبو بكر رضوان الله عليه إلى البلقاء، وأمُّه سعاد بنت رافع من بني النجار.

قُتل سلمة يوم جسر أبي عبيد، وهو ابن ثلاث وستين سنة. وقُتل في هذا اليوم أيضاً أخوه مسلمة بن أسلم، وهو من الطبقة الثانية من الأنصار[٣].

سَلمة بن هشام

ابنِ المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأمُّه ضُباعة بنت عامر بن قُرْط، من ربيعة، من الطبقة الثالثة من المهاجرين، هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى في قول بعضهم، ولما رجع إلى مكة حبسه أخوه أبو جهل، وضربه وعذَّبه، وهو أحد الثلاثة الذي كان رسول الله ﷺ يدعو لهم إذا قَنَت في صلاة الفجر، فيقول: «اللهمَّ أَنْجِ الوليد ابنَ الوليد، وسلمة بنَ هشام، وعيَّاش بنَ أبي ربيعة»[٤]، ثم نُسخ القنوت بعد.

وكان سلمة من كبار الصحابة وفُضلائهم، وهو أخو أبي جهل، وكانوا خمسة

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٩٥ ، والاستيعاب (١٠٦٢)، والتبيين ٤٦٧ ، والإصابة ٢/ ٨-٩ .

(٢) الاستيعاب (٨٩٩) و(١١٢٩) و(٣١٧٥)، والاستبصار ٢٢٢ ، والإصابة ٢/ ٨٢ ، ٤/ ١٩٥ .

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٤٦ ، والاستيعاب (١٠١٧)، والاستبصار ٢٤٨، والإصابة ٢/ ٦٣ ، وانظر السيرة ٦٨٦ ، وجمهرة ابن حزم ٣٤٢ .

(٤) أخرجه أحمد (٧٢٦٠)، والبخاري (٦٢٠٠)، ومسلم (٣٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أخوة: أبو جهل والحارث وسلمة وخالد والعاص بنو هشام، فأما أبو جهل والعاص فقُتلا كافِرَين ببدر، وأُسر خالد يومئذ، ثم فُدي ومات كافراً، وأما سلمة والحارث فكانا من خيار المسلمين.

ولم يشهد سلمة بدراً لأنه كان محبوساً، ثم أفلت بعد الخندق، ولحق رسول الله ﷺ فأقام معه، فقالت أمُّه ضُباعة: [من الرجز]:

اللهمَّ ربَّ الكعبةِ المحرَّمة أظهرْ على كلِّ عدوٍّ سَلَمة
له يدان في الأمور المبهمة كفٌّ بها يُعطي وكفٌّ مُنْعِمة

وشهد سلمة غَزاةَ مؤتة، واستشهد بأجنادين قبل موت أبي بكر رضوان الله عليه بلياٍل، في سنة ثلاث عشرة، وقيل: استشهد في مرج الصُّفَّر، في المحرم سنة أربع عشرة، في أول خلافة عمر[١].

سَليط بن قيس

ابن عمرو الأنصاري، من الطبقة الأولى من بني النجار، وأمُّه زُغَيبة بنت زُرارة بن عُدَس نجارية أيضاً، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وكان لما أسلم يَكسر أصنام بني عَديّ بن النجار[٢].

سُلَيم مَولى رسول الله ﷺ

وكُنيتُه أبو كبشة، وقيل: اسمه أوس، من مُوَلّدي السراة، وقيل [من مولّدي] أرض دوس، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وتوفي بالمدينة يوم الثلاثاء لثمانٍ بقين من جُمادى الآخرة، في اليوم الذي استُخلف فيه عمر رضوان الله عليه[٣].

سَهل بن عَتيك بن النُّعمان

من الطبقة الأولى من الأنصار، من بني عمرو بن عوف[٤]، وأمُّه جَميلة بنت

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٣٠ ، والاستيعاب (١٠١٩)، والتبيين ٣٥٥ ، والإصابة ٢/ ٦٨ .
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٥١٢ ، والاستيعاب (١٠٩٨)، والاستبصار ٤٣ ، والإصابة ٢/ ٧٢ .
(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٩ ، والاستيعاب (٩٨٩)، والإصابة ٤/ ١٦٥ .
(٤) كذا في (أ) و(خ)، والذي في طبقات ابن سعد ٣/ ٥١٠ ، والاستيعاب (١٠٣٩)، وجمهرة ابن حزم ٣٤٩ ، =

علقمة، من بني مَبذول، شهد العقبة مع السبعين، وبدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، واستشهد يوم جسر أبي عبيد، وقيل: إن الذي استشهد يوم الجسر أخوه لأبيه وأمّه، واسمه الحارث بن عَتيك، له صُحبة، ولم يشهد بدراً، وكُنيته أبو أَخْزم، ولسهل رواية عن النبي ﷺ.

طُلَيب بن عمير

ابن وهب بن كثير بن عبد بن قصي، أبو عدي، وأمُّه أروى بنت عبد المطلب، عمَّةُ رسول الله ﷺ، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، أسلم قديماً في دار الأرقم، ثم هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وآخى النبيُّ ﷺ بينه وبين المنذر بن عمرو الساعدي، وشهد بدراً في قول بعضهم، وهو أول من دَمَّى مشركاً في سبيل الله، ضرب أبا جهل بلَحْي جمل بمكة في سنة خمس من النبوة[1]، واستشهد بأجنادين وهو ابن خمس وثلاثين سنة، وقيل: باليرموك، والأول أشهر. والذي استشهد باليرموك: طُلَيب بن عمرو بن وهب بن عبد الله بن قصي بن كلاب[2].

عبد الله بن الزُّبير

ابن عبد المطلب بن هاشم، ابن عمّ رسول الله ﷺ، أسلم وحَسُن إسلامُه، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم حُنين، وكان رسول الله ﷺ يقول: «ابن عمي وحِبّي»، واستشهد بأجنادين.

قال أبو الحويرث: أول قتيلٍ من الروم يوم أجنادين بِطريق خرج معلماً، فدعى إلى البِراز، فبرز إليه عبد الله بن الزبير، فاختلفا ضربتين، فقتله عبد الله ولم يعرض لسَلَبه، ثم برز إليه آخر، فضربه على عاتقه بالسيف، وقال: خُذها وأنا ابن عبد المطلب، فقطع الدرع، وأسرع السيفُ في منكبه، وعزم عليه عمرو بن العاص أن لا يبارز أحداً، فقال عبد الله: والله إني لا أجدني أصبر، ثم اختلطوا، فوجدوه قتيلاً بين عشرة من الروم،

= والاستبصار ٧٧ ، والإصابة ٢/ ٨٨ أنه ابن عمرو بن عتيك بن عمرو بن مبذول بن مالك بن النجار.

(١) في المنمق لابن حبيب ٢٦٩، والإصابة ٢/ ٢٣٣ أن المضروب عوف بن صبرة السهمي.

(٢) كذا، وانظر ترجمة طليب بن عمير في المحبر ٧٢، وطبقات ابن سعد ٣/ ١٢٣، والاستيعاب (١٢٦٦)، والتبيين ٢٨٥.

في رِبضة[١]، قد قتلهم وقتلوه، وقائمُ سيفه في يده، فما نُزع من يده إلا بعد نهار، ويقال: إنه استشهد بفِحل.

قال الواقدي: كان لعبد الله يوم قُبض رسول الله ﷺ نحوٌ من ثلاثين سنة، ولا نعلمه غزا مع رسول الله ﷺ، ولا روى عنه حديثاً[٢].

عبد الله بن سفيان

ابن عبد الأسد المخزومي، من الطبقة الثانية من المهاجرين، أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشة المرّة الثانية، وقتل بأجنادين، وقيل: باليرموك، وقيل: بمؤتة، وأخوه هبَّار ابن سفيان، وعبد الله له رؤية، وهو ابن عمِّ أبي سلمة[٣].

أبو بكر الصديق رضوان الله عليه

واسمُه عبد الله بن عثمان، وقد ذكرنا نسبه وجُمْلةً من فضائلهِ[٤]، وهو من الطبقة الأُولى من المهاجِرين، وأحدُ العَشَرة المبشَّرين، المجاهدُ بنفسه وماله في سبيل الله، شهد بدراً وأُحداً والمشاهدَ كُلَّها مع رسولِ الله ﷺ، لم يَفُتْهُ مشهدٌ، وثبت معه يوم أُحُد لمّا انهزَمَ الناسُ، بايعه على الموت، ودفع إليه رسولُ الله رايتَه العُظمى يوم تبوك.

وهو أوَّلُ من أسلم من الرجال، وأوَّلُ من جمع القرآن، وتنزَّه عن شُرْب المُسكر في الجاهلية والإسلام، وكان رئيساً في الجاهلية، إليه مَساق الدِّيات والمغارم، وكان أنسبَ العربِ، ولم يُفْتِ بحضرةِ رسول الله ﷺ سواه.

وذكرنا[٥] أنَّه قال في غزاةِ حنين في حديث أبي قتادة: لا ها الله ذا، وذكرنا[٦] أن

---

(١) مقتل كل قوم قتلوا في بقعة واحدة.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٧١ (١٣٧٦)، والاستيعاب (١٣٧٤)، والتبيين ١٤٠، وتاريخ دمشق ٩/ ٢٢٩ (مخطوط)، والإصابة ٢/ ٣٠٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ١٣٥، والاستيعاب ١٤٩٩، والتبيين ٣٨٥، وتاريخ دمشق ٩/ ٣٦٤، والإصابة ٢/ ٣١٩.

(٤) في أول هذا الجزء، وانظر في ترجمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه: طبقات ابن سعد ٣/ ١٦٩، وتاريخ الطبري ٣/ ٤١٩، وأنساب الأشراف ٥/ ١٢١، والاستيعاب (١٢٩٦) و(٢٨٤٥)، والمعارف ١٦٧، والتبيين ٣٠٥، والمنتظم ٤/ ٥٣، وصفة الصفوة ١/ ٢٣٥، وتاريخ دمشق ٣٥ـ٣٦/ ٣ والإصابة ٢/ ٣٤١.

(٥) سلف في السيرة.

(٦) في أول هذا الجزء.

أمَّه أُمُّ الخير، واسمُها سلمى بنت صخر بن عامر [بن كعب] بن سعد بن تَيْم، وتُوفّيت في صدر الإسلام بعد أن أسلمت وبايعت.

وأسلم على يد أبي بكر من العشرة خمسةٌ: عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف،

وقال الموفق في الأنساب: وأسلم على يده الأَرْقَم بنُ أبي الأرقم(١).

وهو أوَّلُ مَن أجاب على المنبر وهو يخطب عن ميراث الجدة، قال: لا أَجدُ لها في كتاب الله شيئاً، فشهد عبدُ الرحمن بن عوف والمغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ أعطاها السُّدس، فعمل بما شهدا به.

وكان أول من قضى للجدة بسهم، وأوَّل من أسقط الأخوة من الأب بالجد، وأول مَن قاء مخافةَ الحرام، وأول مَن غَسَّلتْه زوجتُه في الإسلام، وأول من نصَّ على خليفةٍ بعده، وأول مَن دُفن إلى جانب رسول الله ﷺ، وأول من وَلَّى قاضياً بحضرته وهو عمر ابنُ الخطاب، وأوَّلُ مَن ولَّى صاحبَ شرطةٍ وهو أبو عبيدة، وهو أَوَّل مَن اتخذ حاجباً من الخلفاء، وهو سَديف مولاه(٢).

وكان زاهداً، عابداً، ورعاً، باكياً، خائفاً، خاشعاً، متواضعاً، يحلب أغنام الحيِّ، وقد ذكرناه(٣).

وحكى ابن سعد أن نَقْشَ خاتمه: نعم القادر الله(٤)، وقيل: عبد ذليل بين يدي رب جليل(٥).

وكان يلبس في خلافته الشَّملة والعباءة، وقدم عليه أشراف العربِ وملوك اليمن لما ولي الخلافةَ وعليهم التيجان والحرير والوشي، فلما رأوا لباسَه رموا ما كان عليهم، وسلكوا طريقه في التواضع ومكارم الأخلاق.

---

(١) التبيين ٣٠٦.

(٢) انظر تخريج الدلالات السمعية ٦٦.

(٣) في أول هذا الجزء.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٢١١.

(٥) الاستيعاب (١٢٩٦).

ذكر إنفاقه على رسول الله ﷺ وما أعتق: قال ابن سعدٍ بإسناده عن أسامة بن زيد ابن أسلم عن أبيه قال: كان أبو بكرٍ معروفاً بالتجارة، لقد بُعث رسول الله ﷺ وعنده أربعون ألفاً ـ قال عروة بن الزبير: أربعون ألف دينار، وغيره يقول: أربعون ألف درهم ـ فلم يزل يُقوِّي المسلمين، ويُعتِق منها؛ حتى قدم المدينة ومعه خمسةُ آلاف درهم، فكان يفعل فيها ما يفعل بمكة، حتى تُوفِّي ولم يترك ديناراً ولا درهماً[١].

وقال أحمد بن حنبل: حدثنا [أبو] معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نَفعَني مالٌ كمال أبي بكرٍ» فبكى أبو بكر وقال: وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله[٢]. وفي روايةٍ: «ما لأحدٍ عندنا يدٌ إلّا وقد كافيناه عليها ما خلا أبا بكرٍ، فإن له عندنا يداً يكافيه الله عليها»[٣].

فإن قيل[٤]: فقد أنفقت عليه خديجة أضعافَ ذلك، وما قال: ما نفعني مالٌ كمالِ خديجة، فالجواب: أن رسول الله ﷺ كان يُثني على خديجة، ويَعترف بإنفاقها عليه، وإحسانها إليه، على ما ذكرناه في ترجمتها[٥]. وقولُه: «ما نفعني مال كمال أبي بكرٍ»، أراد به المبالغةَ في الثناء عليه.

وقد ذكر جدي رحمه الله في كتاب «المنتخب» وقال: إذا أراد الله قَبول نَفقةٍ قَدَّر لها فاقةَ مُحتاجٍ، وأَحوجُ ما كان الاسلامُ إلى نفقة أبي بكرٍ، فلهذا حُلِّي حليةَ: «ما نفعني مالٌ كمالِ أبي بكرٍ».

وقال في إنفاق خديجة: أنفقت خديجةُ لشائبةِ هواها، ونفقةُ أبي بكرٍ لقاعدةٍ بناها.

قلت: فأبو بكرٍ رضي الله عنه إنما أنفق بعد الرسالة ونزول الوحي، وذلك في سنة أربعين من النبوَّة، ورسولُ الله ﷺ تزوَّج خديجة وهو ابن خمسٍ وعشرين سنةً، قبل النبوة بخمس عشرة سنةً، فإنفاقُ خديجةَ عليه مُتقدّم على إنفاق أبي بكر بخمس عشرة سنةً، ثم شاركت

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ١٧٢.

(٢) مسند أحمد (٧٤٤٦)، وفضائل الصحابة له (٢٥).

(٣) سنن الترمذي (٣٦٦١).

(٤) من هنا، إلى قوله: وآمن برسالته ... في الصفحة التالية ليس في (أ) و(خ).

(٥) سلف في السيرة.

أبا بكرٍ بعد النبوة في الإنفاق عشرَ سنين، لأنها تُوفِّيت في السنة العاشرة من النُّبوَّة.

ولا يُقال: أنفقتْ خديجةُ لشائبةِ هواها، لأنها إنما تزوجت رسول الله ﷺ لمّا أخبرها غُلامُها ميسرةُ بحديث بَحيرى الرّاهب، وتظليلِ الغمامة لرسولِ الله ﷺ، ونحوِ ذلك، فتزوَّجته لذلك المعنى، والدليلُ عليه أنها أوّلُ مَن أسلم وصدَّق بنُبوَّته وآمن برسالته، وقد ذكرناه[١].

وقد ذكرنا أن النبيَّ ﷺ لمّا حثَّ على الصدقة في غزاة تبوك، جاء أبو بكرٍ بكلِّ ماله، وجاء عمر بنصف ماله، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: ما أبقيتَ لعيالك؟ قال: الله ورسوله، وقال لعمر: ما أبقيت لعيالك؟ قال: مثلَ ما جئتُ به، وكان عمرُ قد قال: لأُسابقنَّ اليوم أبا بكرٍ، فلما جاء بالكلِّ قال عمر: والله لا أُسابقُك إلى شيءٍ أبداً[٢].

وأما ما أعتق أبو بكرٍ، فقال هشام: أعتق سبعةً ممن كان يعذبُ في الله تعالى: أعتق بلالاً وعامر بن فُهيرة وزِنّيرة والنَّهْدية وابنتها وجارية بني عمرو وأم عُمَيْسٍ أو عُبَيْس[٣].

وقال هشام بن الكلبي، عن أبيه قال: قال أبو قُحافة لابنه أبي بكرٍ: يا بُنيّ، أَراك تُعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك تُعتِق رجالاً جُلداً يمنعونك ويقومون دونك، فأنزل الله ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾[٤] الآية [الليل: ٥].

وقد ذكرنا أنه اشترى بلالاً فيما تقدَّم، وقول المشركين: غُبِنْتَ: فقال: المغبونُ من أكل ثمنَ بلالٍ[٥].

فصل في ذكر ما نزل فيه من الآيات: قال ابن عباس: عاتب الله أهل الأرض بقوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ الآية [التوبة: ٤٠]، إلّا أبا بكرٍ رضي الله عنه، فإنه أثنى

(١) سلف في السيرة.

(٢) سلف في غزاة تبوك في الجزء الرابع، وأخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)، وابن الجوزي في المنتظم ٤/ ٥٧ـ٥٨ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣١٨ـ٣١٩، وتاريخ دمشق ٣٥/ ١٥٧ـ١٥٨.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٣١٩، وتفسير الطبري ٢٤/ ٤٧٩ (هجر)، وأسباب النزول للواحدي ٤٨٧، وتاريخ دمشق ٣٥/ ١٦٠.

(٥) سلف في قسم السيرة.

عليه حيث قال: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾[١].

قال: وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ الآيات[٢] [الليل: ١٩].

وفيه نزل: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾[٣] [الحديد: ١٠].

وفيه نزل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾[٤] [التوبة: ١٠٠] في آياتٍ كثيرةٍ.

حديث الأبواب: في آخر حديث التَّخيير، وقد تقدم[٥]، «سدوا هذه الأبواب إلا باب أبي بكر»، وفيه: «إن أَمَنَّ الناسِ بصُحبته وماله أبو بكر، ولو كنتُ مُتَّخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»[٦].

فإن قيل: فما الحكمة في سد الأبواب؟ قُلنا: تعظيماً لحقِّ أبي بكر رضي الله عنه، واعترافاً لفضله، إذ سُدَّت جميعُ الأبواب ـ وهي الخوخات ـ وبقيت خوخته لم تُسَدّ.

حديث المفاخرة: قال أبو الدرداء: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبتيه، فقال رسول الله ﷺ: « أمَّا صاحبُكم فقد غامر» فسلَّم ثم جلس، وقال: كان بيني وبين عمر بن الخطاب شيءٌ، فأسرعتُ إليه ثم ندمتُ، فسألتُه أن يَغفرَ لي، [فأبى عليَّ] فأقبلتُ إليك، فقال: «يَغفر الله لك يا أبا بكر» قالها ثلاثاً، ثم إن عمر نَدم، فأتى منزلَ أبي بكر فسأل: أَثَمَّ أبو بكر؟ قالوا: لا، فأتى النبيَّ ﷺ، فجعل وَجهُ النبي ﷺ يَتمعَّر، حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه وقال: يا رسول الله، أنا كنتُ الظَّالم، وأنا كنتُ أظلم له، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله بعثني إليكم، فقُلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدقتَ أو صدق، وواساني بنَفسِه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي»؟ قالها مرّتين، فما أُوذي بعدها. انفرد بإخراجه البخاري[٧].

---

(١) أخرجه ابن عساكر ٣٥/ ١٨٦ عن ابن عيينة.

(٢) أخرجه ابن عساكر ٣٥/ ١٦٠ـ١٦١.

(٣) انظر أسباب النزول للواحدي ٤٣١.

(٤) أخرجه ابن مردويه ـ كما في الدر المنثور ٣/ ٢٦٩ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) سلف في قسم السيرة.

(٦) أخرجه البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢)، وأحمد (١١١٣٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٧) في صحيحه (٣٦٦١).

حديث في الصلاة: قد ذكرنا صلاةَ أبي بكر رضوان الله عليه بالناس في مرض رسول الله ﷺ، وهذا حديثٌ يختصُّ بحالة الصّحة.

قال سهل بن سعد: كان قتالٌ في بني عمرو بن عوف حتى تَرامَوا بالحجارة، فبلغ النبيّ ﷺ، فأتاهم ليُصلح بينهم بعد الظهر، وقال: يا بلال، إن حَضرت الصلاة ولم آتِ فَمُرْ أبا بكر أن يُصلّي بالناس، وجاء رسول الله ﷺ من حيث ذهب، فجعل يَتخلّل الصفوف، حتى بلغ الصفَّ الأوّل، ثم وقف، وجعل الناس يُصفِّقون ليُؤذِنوا أبا بكر برسول الله ﷺ، وكان أبو بكر لا يَلتفتُ في الصلاة، فلما أكثروا عليه التفت، فإذا هو برسول الله ﷺ خلفه مع الناس، فأشار إليه رسول الله ﷺ أن اثْبُتْ، فرفع يديه كأنه يدعو، ثم استأخر القَهْقَرى حتى جاء الصف، فتقدم رسول الله ﷺ فصلى بالناس، فلما فرغ من صلاته قال رسول الله ﷺ:«ما بالكم، أَنابَكم في صلاتكم شيءٌ فجعلتم تصفِّقون؟! إذا ناب أحدَكم شيءٌ في صلاته فليسبِّح الله تعالى، فإنما التسبيحُ للرجال، والتَّصفيقُ للنساء»، ثم قال لأبي بكر: « لم رفعتَ يديك، ما منعك أن تَثبُتَ حين أشرتُ إليك؟»، فقال: رفعتُ يديَّ لأني حَمدتُ الله عز وجل على ما رأيتُ منك، ولم يكن لابن أبي قُحافة أن يَؤمَّ برسول الله ﷺ[١].

حديث المرأة: قال جُبير بن مُطعم: أتت امرأةٌ النبيّ ﷺ، فأمرها أن ترجعَ إليه، فقالت: أرأيتَ إن جئتُ فلم أرك أو أجدَك؟ كأنها تقول: الموت، قال: «فأتي أبا بكر». متفق عليه[٢].

فصل في حديث التَّخَلُّل بالعباءة: قال جدي رحمه الله بإسناده عن عبد الله بن عمر قال: كنتُ عند النبي ﷺ وعنده أبو بكرٍ الصديق، وعليه عباءةٌ قد خَلّها في صدره بخِلالٍ، فنزل عليه جبريل فقال: يا محمد، ما لي أرى على أبي بكرٍ عباءةً قد خَلَّها في صدره؟ فقال: يا جبريل، إنه أنفقَ عليَّ مالَه قبل الفتح، فقال: قُلْ له: الحقُّ يُقرئك السَّلام، ويقول لك: أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال أبو بكر: أأسخط على ربي؟ أنا عن ربي راضٍ. قالها ثلاثاً[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٨٠٧)، والبخاري (٦٨٤)، ومسلم (٤٢١).

(٢) صحيح البخاري (٣٦٥٩)، وصحيح مسلم (٢٣٨٦). ومن قوله: حديث الأبواب ... إلى هنا زيادة من (خ).

(٣) المنتظم ٤/ ٦١، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٥/ ١٦٢ـ١٦٣.

وذكر أبو القاسم بن عساكر في تاريخه عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ بمعناه، فقال: هبط عليَّ جبريل وعليه طِنفسَةٌ، وهو مُتخلِّلٌ بها فقلتُ: «يا جبريلُ، ما نزلتَ إليَّ في مثل هذا الزيِّ!» فقال: إن الله أمر الملائكةَ أن تتخلَّل في السماء؛ لتخلُّلِ أبي بكرٍ في الأرض[١].

فصل في حديث وَرَعِه:

قال أبو نُعيم بإسناده عن زيد بن أرقم قال: كان لأبي بكرٍ مملوكٌ يَغلُّ عليه، فأتاه ليلةً بطعامٍ، فتناول منه لقمةً، فقال له المملوكُ: ما لك كُنتَ تسألُني كلَّ ليلةٍ، ولم تسألني الليلة؟ قال: حملني على ذلك الجوعُ، من أين جئتَ بهذا؟ قال: مررتُ بقومٍ في الجاهلية، فرَقيتُ لهم فوعدوني، فلما أن كان اليوم مررتُ بهم، فإذا عرسٌ لهم، فأعطوني، فقال: أفٍّ لك، كدتَ تُهلكني، فأدخل يده في حلْقه، فجعل يتقيّأ، وجعلتْ لا تخرج، فقيل له: إن هذه لا تخرج إلا بالماء، فدعا بعُسٍّ من ماءٍ، فجعل يشرب ويتقيّأ، حتى رمى بها، فقيل له: يَرحمك الله، كلُّ هذا من أجل لُقمةٍ؟ فقال: لو لم تَخرُج إلا مع نفسي لأخرجتُها، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كلُّ جسدٍ نَبت من سُحْتٍ فالنارُ أولى به» فخشيتُ أن يَنبتَ شيءٌ من جسدي من هذه اللقمة[٢].

وقد أخرج البخاري في أفراده عن عائشة بمعناه، وفيه: كان لأبي غلامٌ يَغُلُّ عليه، وكان أبي يأكلُ من خَراجه[٣]، والخراج: الضَّريبةُ التي يَتَّفق العبدُ مع سيِّده عليها، يؤدّيها إليه، والكهانة: تعاطي علم الغيب.

وقد ذكرنا أن أبا بكرٍ كان أول من تاجر مخافة أكل الحرام.

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٥/ ٤٤٢، ومن طريقه ابن عساكر ٣٥/ ١٦٣ـ١٦٤ من طريق محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن ثابت الأشناني، عن حنبل بن إسحاق، عن وكيع، عن شعبة، عن الحجاج، عن مقسم، عن ابن عباس. وقال الخطيب عقبه: ما أبعد الأشناني من التوفيق، تراه ما علم أن حنبلاً لم يرو عن وكيع، ولا أدركه أيضاً، ولست أشك أن هذا الرجل ما كان يعرف من الصنعة شيئاً، وقد سمعت بعض شيوخنا ذكره فقال: كان يضع الحديث، وأنا أقول: إنه كان يضع ما لا يحسنه، غير أنه، والله أعلم، أخذ أسانيد صحيحة من بعض الصحف فركب عليها هذه البلايا، ونسأل الله السلامة في الدنيا والآخرة.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٣١، والمنتظم ٤/ ٦٢.

(٣) صحيح البخاري (٣٨٤٢).

وقد روى ابن أبي الدنيا عنه أنه كان يأخذ بلسانه ويقول: هذا أوردني الموارد[١].

ذكرُ تواضُعِه وخوفِه: قال عبد الله بن أحمد بن حنبل بإسناده، عن أبي عمران الجَوْني قال: قال أبو بكرٍ: وَدِدتُ أني شَعرةٌ في جَنب عبدٍ مؤمن. وفي روايةٍ: يا ليتني كنتُ شجرةً تُعضَدُ، أي: تُقطَعُ، ثم تُؤكل، يا ليتني كنتُ كَبْشاً، فأكلني أهلي ولا أُبعثُ[٢].

وقال عبد الله بن أحمد بإسناده، عن ابن أبي مُليكة قال: ربّما سقط السَّوطُ أو الخِطامُ من يد أبي بكرٍ، فيَضرب بذراع ناقته، فيُنيخُها، فيأخذُه، فيُقال له: ألا أمرتنا نناولكه؟ فيقول: إن رسول الله ﷺ أمرني أن لا أسأل الناسَ شيئاً[٣].

ذكرُ طرفٍ من خُطبه: قد ذكرنا عند خلافته طرفاً من ذلك.

وحدَّثنا غير واحدٍ، حدثنا إسماعيل بن أحمد بإسناده عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، أن أبا بكرٍ رضي الله عنه كان يقول في خُطبته: أين الوِضاء، الحسنةُ وجوهُهم، المعجَبون بشبابهم؟ أين الملوك الذين بَنَوْا المدائن، وحصَّنوها بالحيطان؟ أين الذين كانوا يُعْطَوْن الغَلَبةَ في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهرُ، فأصبحوا في ظلماتِ القبورِ. الوحا الوحا، النجاءَ النجاءَ[٤].

وقال عبد الله بن عُكيم: خطبنا أبو بكرٍ فقال: أما بعد فإني مُوصيكم بتقوى الله، وأن تُثنوا عليه بما هو أهلُه، وأن تَخلِطوا الرَّغبةَ بالرَّهبة، وتجمعوا الإلحافَ بالمسألة فإن الله تعالى أثنى على زكريا وأهلِ بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ثم اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقَكم، واشترى منكم القليلَ الفاني بالكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم، لا تَفنى عجائبُه، ولا يُطفأ نورُه، فصدِّقوا قولَه، واستضيؤوا بنوره ليوم الظلمة، وإنما خلقكم لعبادته، ووَكل بكم الكرامَ الكاتبين، يعلمون ما تفعلون.

---

(١) الصمت وآداب اللسان (١٣)، وأخرجه أحمد في الزهد ١٣٥-١٣٦ و١٣٩، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٨٨.

(٢) الزهد لأحمد ١٣٥ و١٣٩.

(٣) مسند أحمد (٦٥).

(٤) المنتظم ٤/ ٦٩، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠١١١)، وابن عساكر ٣٥/ ٤٤٤.

ثم اعلموا عباد الله أنكم تَغدون وتَروحون في آجال قد غُيِّبت عنكم، أو غُيِّب عنكم علمُها فإن استطعتُم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله تعالى، فسابقوا في مهل آجالكم، قبل أن تنقضي آجالكم، فتُردُّون إلى أسوأ أعمالكم، فإن أقواماً جعلوا آجالَهم لغيرهم، ونَسُوا أنفسَهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالَهم، الوحا الوحا، النَّجاء النَّجاء، إن وراءكم طالباً حثيثاً، أمره سريع[١].

ذكر مرض أبي بكر: واختلفوا في سبب ذلك على أقوال:

أحدها ما رواه سيف بن عمر قال: حدثنا مبشر بن الفضيل، حدثنا سالم بن عبد الله ابن عمر، عن أبيه قال: كان سبب موت أبي بكر رضي الله عنه وفاة رسول الله ﷺ، كَمِدَ فما زال جِسْمُه ينحلُ ويذوب حتى مات. وفي روايةٍ عن سالم عن ابن عمر، ولم يذكر عمر[٢].

والثاني أنَّه سُمَّ، فقال ابن سعدٍ بإسناده عن ابن شهابٍ، أنَّ أبا بكرٍ والحارثَ بن كَلَدَة كانا يأكلان خَزيرةً أُهدِيت لأبي بكرٍ، فقال له الحارث: ارفع يدك يا خليفةَ رسول الله، والله إنَّ فيها لَسَمَّ سنةٍ، وأنا وأنت نموتُ في يومٍ واحدٍ عند انتهاء السنة، فماتا عند انقضائها، ولم يزالا عليلَيْن حتى ماتا[٣].

وقد ذكرنا أن الخزيرة أن تقطع اللحم وتَذرَّ عليه الدقيقَ، فإن لم يكن في القدر لحمٌ فهي العصيدةُ[٤].

وقال أبو جعفرٍ الطبري: الذي سمَّتْهُ امرأةٌ من اليهودِ في أرُزَّةٍ[٥].

والثالث: أنه اغتسل في يومٍ باردٍ، فحُمَّ خمسة عشر يوماً وتُوفّي. حكاه الواقدي عن عائشة[٦].

---

(١) المنتظم ٤/ ٦٩ـ٧٠، وأخرجه هناد في الزهد (٤٩٥)، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٣٥، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠١٠٩) (١٠١١٠)، وابن عساكر ٣٥/ ٤٤٨، ومن قوله: قال عبد الله بن عكيم، إلى هنا ليس في (ك).

(٢) تاريخ دمشق ٣٥/ ٥٣٢، وليس فيه ذكر لعمر !؟

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ١٩٨.

(٤) سلف في أسماء الولائم والأطعمة من أخبار الأمم الماضية.

(٥) تاريخ الطبري ٣/ ٤١٩.

(٦) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠١ـ٢٠٢.

والرابعُ: أنه علق به سِلٌّ قبل وفاة رسول الله ﷺ، فلم يَزلْ به حتى قتله. حكاه عكرمة، عن ابن عباسٍ. قال: وكان يأمرُ أبو بكرٍ عمرَ فيصلي بالناسِ، ويدخلُ عليه الناسُ فيعودونه، وكان عثمانُ ألزمَ الناس له في مرضه.

وقال عبد الله بن أحمد بإسناده عن أبي السَّفْر قال: مرض أبو بكرٍ فعاده الناسُ، وقالوا: ألا ندعو لك طبيباً؟ فقال: الطبيب أمرضني، وقد رواه أبو نُعيم: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رآني، قالوا: فأي شيءٍ قال لك؟ قال: قال: إني فعَّالٌ لما أُريد[1].

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن مسروقٍ، عن عائشة قالت: لمَّا مرِض أبو بكرٍ مرضَه الذي مات فيه قال: انظروا ما زاد في مالي منذُ دخلتُ الإمارةَ، فابعثوا به إلى الخليفة بعدي، قالت: فلما مات نظرنا؛ فإذا عبدٌ نوبيٌّ كان يحملُ صبيانَه، وناضحٌ كان يَسني عليه، أي: يسقي له بستاناً، وقطيفةٌ، فبعثنا به إلى عمر، فبكى عمرُ وقال: يرحمُ اللهُ أبا بكرٍ، لقد أتعب مَن بعده تعباً شديداً.

وفي روايةٍ عنها: ما كان عنده يومَ مات درهمٌ ولا دينارٌ، ما كان عنده إلا خادمٌ ولقْحَةٌ ومِحْلَبٌ.

وروى ابن سعدٍ: أن أبا بكرٍ بعث إلى عمر بالعبدِ النُّوبي والناضح والقطيفة، وكانت تُساوي خمسة دراهم، فقال له عبد الرحمن بن عوفٍ: سبحان الله تسلبُ عيالَ أبي بكرٍ هذا؟ رُدَّه عليهم فقال: لا والله، لا يتأثَّمُ بها أبو بكرٍ حالَ حياته وأتحمّلُها بعد مماتهِ.

وفي روايةٍ: فقال عمرُ لعبد الرحمن: ما تأمرُ؟ قال: رُدَّه عليهم. فقال: لا يَخرُج عن شيءٍ وقتَ الموت وأردُّه في عيالِه[2].

وقال الشعبي: نظروا فيما وصلَ إليه فكان ستَّة آلاف درهم فقال: حائطي الفُلاني عِوَضُها، وكان يُساوي أضعافها فأدخله في بيتِ المال. وأوصى بعد ذلك بخُمْسِ ماله

(١) الزهد لأحمد ١٤٠، وحلية الأولياء ١/ ٣٤، وأخرجه هناد في الزهد (٣٨٢)، وابن سعد ٣/ ١٩٨، والبلاذري ٥/ ١٥٥، وابن عساكر ٣٥/ ٥٣٣ـ٥٣٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٩٢ و١٩٣ و١٩٦.

في سبيل الله.

وأخرج ابنُ سعدٍ بمعناه، وفيه: فقال عمر: أنا وليُّ الأمر بعده فردَّها في عياله[١].

وذكر ابن سعدٍ: أن عائشة لما احتُضِر أبو بكرٍ تمثَّلت بقول حاتم: [من الطويل]

لعَمرك ما يُغني الثراءُ عن الفتى إذا حَشرَجَتْ يوماً وضاق بها الصَّدْرُ[٢]

ففتح عينيه وقال: يا بُنَيَّةُ، لا تقولي كذا، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق: ١٩] وهي قراءة أبي بكر رضي الله عنه[٣].

وذكر ابن سعدٍ أيضاً عن عائشة أنها تمثَّلت وأبو بكر رضوان الله عليه يَقضي: [من الطويل]

وأبيض يُستسقى الغَمامُ بوجهه ثمالُ اليتامى عِصمةٌ للأراملِ

ففتح عينيه وقال: ذاك رسولُ الله ﷺ[٤].

وقال أحمد بإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثَقُل أبي قال: أيّ يومٍ هو؟ قالوا: يوم الإثنين. قال: ففي أي يومٍ قُبض رسولُ اللهِ ﷺ؟ قالوا: فيه. قال: فأني أرجو ما بينه وبين الليل. قالت: وكان عليه ثوبٌ به رَدْعٌ من مِشْقٍ، فقال: إذا مِتُّ، فاغسلوا ثوبيَّ هذين، أو ثوبي هذا، وضُمُّوا إليه ثوبَين جديدَين، فكفِّنوني في ثلاثة أثوابٍ. قالت: فقُلنا: ألا نجعلُها كلها جُدداً؟ قال: لا إنما هي للمهلة. فمات ليلة الثلاثاء. انفرد بإخراجه البخاري[٥].

وروى ابن سعدٍ عن عائشة قالت: قال أبي: انظروا مُلاءتيَّ هاتين، فاغسلوهما،

---

(١) الطبقات ٣/ ١٩٣.

(٢) ديوانه ٥٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ١٩٥ـ١٩٧، وأخرجه كذلك أحمد في الزهد ١٣٦، وابن عساكر ٣٥/ ٥٥٢ـ٥٥٣. وأخرجه الطبري في التفسير ٢١/ ٤٢٧ـ٤٢٨، والبلاذري في أنساب الأشراف ٥/ ١٥٤، وابن عساكر ٣٥/ ٥٥٤، وعندهم أن قراءته ﴿وجاءت سكرة الحق بالموت﴾، وانظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢٥، والمحتسب ٢/ ٢٨٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ١٩٧ـ١٩٨.

(٥) مسند أحمد (٣٤١٨٦)، وصحيح البخاري (١٣٨٧).

وكفِّنوني فيهما؛ فإن الحيَّ أحوجُ إلى الجديد من الميِّتِ، إنما هو للمُهْلِ والصديد والتُرابِ[١].

ذكر ما سُمع من أبي بكر عند وفاته: [كان آخر ما تكلم به أبو بكر:] ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١][٢]

ولما احتُضر قال: ما آسى على شيء من الدنيا، إلا على ثلاثٍ فعلتُهنَّ وَدِدت أني تركتُهن، وثلاثٍ وَدِدْتُ أني لو فعلتُهن، وثلاثٍ وَدِدتُ أني سألت رسول الله ﷺ عنهنّ.

أما الأوَّل: فوددت أني [لم] أكن كشَفْتُ بيتَ فاطمة عن شيء، وإن كانوا أغلقوه على حرب، ولم أكن حَرّقتُ الفُجاءةَ السُّلَمي، وحيث لم أقذف الأمر يوم السقيفة إلى أحد الرجلين ـ يعني: عمر وعبد الرحمن بن عوف ـ فكان أميراً وكنت وزيراً[٣].

وأما الثلاث الأخر: فوَدِدْتُ أني يوم أُتيتُ بالأشعث بن قيس أسيراً في الردة كنتُ ضربتُ عُنقَه، فإنه لا يرى شراً إلا أعانه، ووَدِدْتُ أني لما أرسلتُ خالداً إلى الشام أني قذفتُ بعمر بن الخطاب المشرق، فكنتُ قد بَسطتُ يميني وشمالي في سبيل الله، ووددت أني كنتُ في جيوش أهل الرّدة وأقمتُ بذي القَصَّة رِدْءاً للمسلمين.

وأما الثلاث الأول: فوَدِدْتُ أني سألت رسول الله ﷺ عن ميراث العمَّة وبنت الأخ، فإن في نفسي منهما شيء، ووَدِدْتُ أني سألتُه عن هذا الأمر فيمن هو، فلا يُنازَع أهلُه، ووددت أني سألته هل للأنصار فيه نصيبٌ، فنعطيهم إياه[٤].

وقال الواقدي: تُوفي أبو بكر ليلةَ الثلاثاء، ما بين المغرب والعشاء، لثماني ليالٍ بَقين من جُمادى الآخرة[٥].

وقال ابن قتيبة[٦]: توفي يوم الجمعة، وقيل ليلة الجمعة، والأول أصحّ.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٥ـ٢٠٦.

(٢) أنساب الأشراف ٥/ ١٥٥.

(٣) في تاريخ الطبري ٣/ ٤٣٠، وتاريخ دمشق ٣٥/ ٥٤٢ـ٥٤٩: ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين يريد عمر وأبا عبيدة، فكان أحدهما أميراً، وكنت وزيراً.

(٤) من قوله: ذكر ما سمع من أبي بكر عند وفاته، إلى هنا ليس في (ك).

(٥) أخرجه ابن سعد ٣/ ٢٠١ـ٢٠٢، والطبري ٣/ ٤١٩ـ٤٢٠.

(٦) المعارف ١٧١.

وقال هشام: أوصى أن تَغسِله زوجتُه أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ، وكانت صائمةً، فقال لها: باللهِ أفطري، فقالت: واللهِ لا أتبِعُه اليومَ حِنْثاً، فشربت ماءً.

وقال ابن سعدٍ: لمّا غسلته خرجت إلى من حضر من المهاجرين والأنصار، فقالت: إني صائمةٌ، وهذا يومٌ شديدُ البرد، فهل عليَّ من غُسْلٍ؟ قالوا: لا.

وروى القاسم بن محمد بن أبي بكرٍ أنّه أوصى أن تَغسِله أسماءُ، فإن عجزت أعانها محمد ابنُه. قال الواقدي: وهذا وهم، لأنَّ الروايةَ الثانية أن أبا بكرٍ أوصى أن تَغسِله أسماءُ، فإن عجزت أعانها عبد الرحمن بنُ أبي بكرٍ، لأنَّ محمداً وُلدَ بذي الحُليفة في سنة عشرٍ من الهجرة، فقد كان لمحمَّدٍ يوم مات أبو بكرٍ ثلاثُ سنين أو نحوها، أما عبدُ الرحمن فكان كبيراً يوم مات أبوهُ[١].

ذِكرُ الصلاة عليه: قال علماءُ السير: صلَّى عليه عمر بين القبر والمنبر، وكبَّر عليه أربعاً، ودُفِن عند رسولِ الله ﷺ ليلاً.

قال الواقدي: سُئل عقبةُ بن عامرٍ: أيُدْفَن الميتُ ليلاً؟ فقال: قد دَفن عمرُ أبا بكرٍ ليلاً، ونزل في حفرتهِ هو وعثمان وطلحةُ وولده عبد الرحمن بن أبي بكرٍ، وقال ابن عمر: وأردْتُ أن أنزِل، فقال عمرُ: كُفيت، ودُفِنَ ورأسُه عند كَتِفي رسولِ الله ﷺ[٢]، وسُنِّم قبرُه في أصحِّ الروايات[٣].

وقال ابن إسحاق: حُمِل على سريرِ رسولِ الله ﷺ، وكان من خشب السَّاج، منسوجاً باللِّيف، وهو الذي أعطاه إياه سعدُ بن عُبادة لمّا قَدِم المدينة، ثمَّ بيع في ميراث عائشة، فاشتراه معاويةُ بأربعة آلاف درهم، وجعله في المدينة وَقْفاً على المسلمين. وقال ابن قتيبة: إنما اشتراه بعضُ موالي معاوية[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٣ـ٢٠٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٦ـ٢٠٨، وتاريخ الطبري ٣/ ٤٢٢.

(٣) كذا، والذي في طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٩ و٢١٠، وتاريخ الطبري ٣/ ٤٢٢ـ٤٢٣، وأنساب الأشراف ٥/ ١٦٤، وتاريخ دمشق ٣٥/ ٥٧٦، والمنتظم ٤/ ١٣٠، أن لحده أُلصق بقبر رسول الله ﷺ، وأنه جُعل مثل قبر النبي ﷺ مُسَطَّحاً، لا مُشرِفاً، ولا لاطئاً.

(٤) المعارف ١٧١، وانظر تاريخ دمشق ٣٥/ ٥٧٤.

ذكر سِنِّه: حكاه الواقدي عن أشياخه قال: تُوفّي أبو بكرٍ وهو ابن ثلاثٍ وستين سنةً، قال الواقدي: وهو الثَّبت عندنا، قال: لأنه ولد بعد رسولِ الله ﷺ بثلاث سنين[١]، وقيل: ابن ستين سنةً. والأوَّل أصحُّ، وعليه عامّةُ أربابِ السِّيَرِ.

ذكر خلافته: قال الواقدي: أقام خليفةً سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ.

وقال هشام: سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليالٍ.

ذكر النَّوح عليه: ذكر ابن سعدٍ أن عائشة أقامت النَّوْح عليه، فبلغ عمر بن الخطاب، فجاء فنهاها، فأبت، فقال لهشام بن الوليد: ادخل على ابنة أبي قُحافة، فاضربها بالدِّرّة، فدخل فعلاها ضَرْباً، فتفرَّق النوائح، ثم قال عمر: أردْتُنّ أن تُعذِّبْنَ أبا بكرٍ بنَوحكنَّ عليه، أو ببكائكنَّ عليه، إن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الميّت لَيُعَذَّبُ ببكاء أهله عليه»[٢].

وذكر أبو جعفر الطبري في تاريخه[٣] أن المضروبة هي أمُّ فروة أخت أبي بكرٍ، وقال عمر لهشام: ادخل فأخرجها من بيت عائشة، فدخل فقالت له عائشةُ: اخرج من بيتي، فأخرج أمَّ فروة، ثم ضربها ثلاث دررٍ.

قلتُ: وهذا الأصحُّ؛ لأن عمر ما كان يَجهل فضلَ عائشة، وأنها أمُّ المؤمنين وزوجةُ النبيّ ﷺ، وقد كانت مُحْتَرمةً بين الصحابةِ، فكيف يضربها بالدِّرَّة وهي أمُّه؟ وقولُ عمر: ابنة أبي قُحافة يدلُّ عليه، لأن ابنة أبي قُحافة هي أمُّ فروة لا عائشة. وقوله: «إن الميِّت ليُعذَّب ببكاء أهله عليه»، قد أنكر هذا ابنُ عباسٍ، ولو سلم كان معناه إذا أوصى بذلك، وإلّا فلا ذَنبَ للميت[٤].

ذكر ثناءِ عليّ عليه السلام عليه: حدثنا غيرُ واحدٍ قالوا: حدثنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القَزّاز بإسناده، عن أَسِيد بن صفوان قال: لما قُبضَ أبو بكرٍ رضي الله عنه وسُجّي؛ ارتجَّت المدينةُ بالبكاء كيوم قُبِض رسولُ الله ﷺ، فجاء عليُّ بن أبي طالب

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٨ـ٢٠٩، وأخرج الحديث أحمد (١٨٠)، والبخاري (١٢٩٢)، ومسلم (٩٢٧).

(٣) في ٣/ ٤٢٣.

(٤) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٦/ ٢٢٨، وفتح الباري ٣/ ١٦١.

مُسرعاً، حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكرٍ وقال:

رحمك الله يا أبا بكرٍ، فلقد كُنتَ إِلْفَ رسول الله، وأنيسَه، وثقتَه، وموضعَ سرِّه، ومشاورَه، وكنتَ أوّلَ القوم إسلاماً، وأخلصَهم إيماناً، وأشدَّهم يقيناً، وأخوفهم لله، وأعظمَهم غناءً في دين الله، وأحوَطَهم على رسول الله ﷺ، وأحدَبَهم على الإسلام، وأحسنَهم صُحبةً، وأكثرَهم مناقبَ، وأفضلَهم سَوابقَ، وأرفعَهم درجةً، وأقربَهم وسيلةً، وأشبَههم هَدْياً وسَمْتاً برسول الله ﷺ، وأشرفَهم منزلةً، وأرفعَهم عنده، وأكرمَهم عليه، فجزاك الله عن رسول الله ﷺ وعن الإسلام أفضل الجزاء.

صَدَّقتَ رسول الله ﷺ حين كذَّبَه الناس، وكنت عنده بمنزلةِ السَّمعِ والبصر، سَمَّاك الله في تنزيله صِدِّيقاً فقال: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٣][1].

آسيتَه حين بَخِلوا، وقمتَ معه في المكاره حين قَعدوا، وصحِبتَه في الشدَّة أكرمَ الصُّحبة، ثاني اثنين إذ هما في الغار، وأنت المنزَّل عليه السكينة، ورفيقُه في الهجرة، وخليفتُه في دين الله. قُمتَ حين ارتدُّوا بما لم يَقُمْ به خليفةُ نبيٍّ، ونهضتَ حين وَهَن أصحابُه، وبَرزْتَ حين استكانوا، وقويتَ حين ضَعُفوا، ولزِمتَ منهاج رسول الله ﷺ إذ جبنوا ووَهنوا، فكنت خليفتَه حقاً، لن تنازع ولن تضارع برغم المنافقين وبكَبْتِ الحاسدين.

قمتَ بالأمر حين قَعدوا، فاتَّبعوك فهدوا، وكنتَ أخفَضَهم صوتاً، وأعلاهم فوقاً، وأقلَّهم كلاماً، وأصدقَهم منطقاً، وأبلغَهم قولاً، وأكرمَهم رأياً، وأشجعَهم نفساً، وأشرفهم عملاً، كنتَ والله للدين يعسوباً، أولاً حين نفر الناس عنه، وآخراً حين أقبلوا، كنت للمؤمنين أباً رحيماً حين صاروا عليك عيالاً، حَملت أثقالَ ما عنه ضَعُفوا، ورعيتَ ما أهملوا، وعلمتَ ما جهلوا، وشَمَّرت إذ ظلعوا، وصَبرتَ إذ جَزِعوا، وأدركتَ أوتار ما طلبوا، وراجعوا برأيك رُشْدَهم، فظَفِروا، ونالوا بك ما لم يحتسبوا.

كنتَ والله على الكافرين عذاباً صَبِّاً ولهباً، وللمؤمنين رحمةً وأنساً وحصناً،

(١) بعدها في (ك): من كلام طويل، واختصر بذلك الخطبة.

ذهبتَ والله بفضائلها، وأدركتَ سوابقَها، لم تُفْلَل حُجَّتُك، ولم تَضعُف بصيرتُك، ولم تَجبُن نفسُك، ولم يُرَعْ قلبُك.

كنتَ كالجبال لا تُحرّكها العواصف، ولا تُزيلها القواصف، كنتَ كما قال رسول الله ﷺ، أمنَّ الناس عليه في صُحبتك وذاتِ يدك، وكنتَ كما قال: «ضعيفاً في بدنك، قوياً في أمر الله»، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله، جَليلاً في أعين الناس، كبيراً في نفوسهم، لم يكن لأحدٍ فيك مَغمَز، ولا لقائلٍ فيك مَهْمَز، ولا لمخلوقٍ عندك هوادة، الضعيفُ عندك قويٌّ حتى تأخُذَ بحقِّه، والقريبُ والبعيد عندك في ذلك سواء.

أقربُ الناس إليك أطوعُهم لله وأتقاهم، شأنُك الحقُّ والصدقُ، والعفوُ والرِّفقُ، قولك حُكْمٌ وحَتْم، وأمرُك حِلمٌ وحَزم، ورأيُك علمٌ وعَزم، اعتدل بك الدِّين، وقوي الإيمان، وظهر أمرُ الله، فسبقتَ والله سَبْقاً بعيداً، وأتعبتَ مَن بعدك إتعاباً شديداً، وفُزتَ بالخير فوزاً مُبيناً، فجَلِلتَ عن البكاء، وعَظُمت رزيَّتُك في الأرض وفي السماء، وهدَّت مُصيبتُك الأنامَ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

رضينا بقضاء الله، وسلَّمنا لأمره، ولن يُصابَ المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبداً، ألحقك الله بنبيِّك، ولا حَرَمنا أجرَك، ولا أضلَّنا بعدك، وسكت الناس حتى سمعوا وقضى كلامَه، ثم بكوا حتى ارتفعت أصواتُهم، وقالوا: صدقتَ يا خَتَن رسول الله ﷺ[1].

ذِكْرُ ميراثِهِ: قال الواقدي: لما تُوفي أبو بكرٍ سمع أبو قُحافةَ الواعيةَ بمكَّة، فقال: ما هذا؟ قالوا: مات ابنك بالمدينة، فقال: رُزْءٌ جليل، فمن قام بعده بالأمر؟ قالوا: عمر بن الخطّاب، فقال: صاحبُه.

وورث أبو قُحافة من ولده السُّدس ـ يعني أبا بكر ـ فكُلِّم فيه فقال: قد رددتُه في ولد عتيق، يعني أبا بكر، ولم يأخذ منه شيئاً[2].

وقد روى بعضهُم: فسمع أبو قُحافة بمكة صوتَ الهائعة، وهو خطأٌ، لأنَّ الهائعة إنَّما تكون في الحرب، والواعيةُ في الموت.

---

(١) تاريخ دمشق ٣٥/ ٥٦٧ـ٥٧١، منال الطالب ٣٩٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢١٠، وفيه: سمع الهائعة. وسيتكلم عليها المصنف.

وحكى ابن سعدٍ عن الواقديِّ وغيرِه، قالوا: لمّا مات أبو بكرٍ دعا عمر بن الخطّاب الأمناء، ودخل بهم بيتَ مال أبي بكرٍ، ومعه عبدُ الرحمن بن عوفٍ وعثمان ابن عفان وغيرُهما، فلم يَجدوا في بيتِ ماله شيئاً ولا درهماً ولا ديناراً، ووجدوا خَيْشَةً للمال، فنُفِضتْ، فوجدوا فيها درهماً، فترحَّموا على أبي بكر، وكان الواردُ عليه من المعدن وغيره مُدَّة خلافته مئتي ألفٍ، فكان يُنفقُها في سبيلِ الله، وعلى الفقراء والمساكين[١].

فصل في ذِكر أزواجِه: قال علماءُ السِّير: تزوَّج أبو بكرٍ في الجاهلية قُتيلَةَ بنتَ عبد العُزّى من ولد عامر بن لؤي، فولدتْ له عبدَ الله وأسماءَ. وتزوَّج أيضاً في الجاهليةِ أمَّ رومان بنت عامر بن عميرة الكنانية. وقيل: أُمّ رومان بنت عامر بن عويمر، حكى القولين ابنُ سعدٍ، ونسبها إلى كنانة[٢].

وقال ابن قُتيبة: هي أُمُّ رومان بنت الحارث بن الحويرِث، من بني فراس بن غَنْم ابن كنانة[٣].

وقال البلاذري: من قال هذا فقد أخطأ، وإنّما هي بنت عامرٍ، وقيل: بنت عويمر. فولدت له عبد الرحمن وعائشة. وكانت أم رومان قبل أبي بكرٍ عند عبد الله بن الحارث ابن سخبرة. فولدت له الطفيل بن عبد الله فكان الطفيل أخا عائشة لأُمِّها[٤].

فأما في الإسلامِ فتزوَّج أسماء بنت عُميس بن معد بن تيم بن الحارث، ونسبها ابن سعدٍ إلى خثعم، فولدت له محمداً[٥]. وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب فولدت له محمَّداً. ثم تزوَّجها علي بن أبي طالب فولدت له محمَّداً، فكانت تُدعى أُمَّ المحمَّدين.

وآخرُ مَن تزوَّج أبو بكر في الاسلام: حبيبةَ ابنةَ خارجة بن زيد بن أبي زهير الخزرجي، كان أبو بكر قد نزل عليه بالسُّنْحِ لمّا هاجر إلى المدينة، فولدت له أُمَّ كلثوم

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢١٣.
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٦٩.
(٣) المعارف ١٧٣.
(٤) أنساب الأشراف ٥/ ١٦٨ و ١٦٩، وانظر المعارف.
(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ١٦٩.

بعد وفاةِ أبي بكرٍ.

فأما عبدُ الله بن أبي بكرٍ فشهد الطائف مع رسول الله ﷺ، فجُرح، فمات في خلافة أبيه، وقد ذكرناه[١].

وأما أسماءُ فتزوَّجها الزبيرُ بن العوَّام بمكة، فولدت له عدَّة أولادٍ، ثم طلَّقها، فكانت عند ابنها عبد الله بن الزبير حتى قُتلِ، وسنذكُرُها عند مقتل ابنها.

وأما عبدُ الرحمن بن أبي بكر فشهد بدراً مع الكُفّار، ودعا أباه أبا بكرٍ في ذلك اليوم أن يُبارِزه، فمنعه رسولُ الله وقال له: «يا أبا بكرٍ متِّعنا بنفسك»، ثم أسلم في هدنةِ الحديبيةِ وهاجر إلى المدينةِ، وسنذكرهُ في سنة بضعٍ وخمسين.

وأما محمد فسنذكره في سنة ثمانٍ وثلاثين.

وأما أُمُّ كلثوم فذكر ابن الزبير عن عائشة أنها قالت: لما احتُضِر أبو بكرٍ دعاني، فقال لي: إنه ليس في أهلي أحدٌ أحبُّ إليَّ منك، وإن أعزَّ الناس عليَّ فقراً بعدي أنت، وإني كُنْتُ نَحلتُك جِداد عشرين وَسْقاً من مالي، فوَدِدْتُ والله أنك كنت جَدَدْتِه وأخذتيه، فإنَّما هما أخواك وأختاك، قالت: قلت: هذان أخواي، فمن أُخْتاي؟ قال: ذات بطن بنت خارجة، فإني أظنُّها جاريةً وفي رواية ابن سعد: إني كنتُ نحلتُك أرضي التي تَعلمين بمكان كذا وكذا، وأنا أحبُّ أن تَردِّيها إليَّ، فيكون ذلك قسمةً بين ولدي على كتاب الله، فألقى ربي حين ألقاه ولم أفضِّل بعضَ ولدي على البعض[٢].

وقال الواقدي: خطب عمر بن الخطاب أُمَّ كلثوم بعد وفاة أبي بكرٍ، فأجابته عائشةُ، وكرهته أمُّ كلثوم، فاحتالت حتى أمسكَ عنها ـ وسنذكرُه فيما بعد ـ فتزوَّجها طلحةُ بن عبيد الله، فولدت له زكريا ويوسف مات صغيراً وعائشة، ثم قُتل عنها يوم الجمل، ثم خلف عليها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، فولدت له إبراهيم الأحول، وموسى، وأمَّ حُميدٍ، وأمَّ عثمان[٣].

---

(١) في بداية هذا الجزء.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٩٥، وما سبق فيه ١٩٤.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٦٢، والمعارف ١٧٥، وجاء في (ك) عقبها: انتهت ترجمة أبي بكر، السنة الرابعة =

ذكر مواليه: بلال بن رباح، وعامر بن فُهَيْرة، وصَفيّة، وهي أم محمد بن سيرين، وأبو نافع، وكان كثيرَ المال، نزل البصرة، وله بها دار، وقيل: إنه كان لعبد الرحمن بن أبي بكر، وفيه يقول يزيد بن مُفَرِّغ الحميري: [من الطويل]

سقى الله أرضاً لي وداراً تركتُها ... إلى جنب دارَيْ معقل بن يسار
أبو نافع[1] جارٌ لها وابن بُرْثن ... فيا لك جارَيْ ذِلَّةٍ وصَغارِ

ومُرَّة مولى أبي بكر، وقيل: إنه كان لعبد الرحمن أيضاً، وكتبت عائشة إلى زياد بن أبيه توصيه به، فسُرَّ بكتابها، وأقطعه نهراً بالبصرة. وقد ذكرنا أن الصديق أعتق جماعةً ممن كان يُعذَّب في الله تعالى.

ذكر عُمَّاله: كان عاملُه على مكة عَتَّاب بن أَسِيد، وعلى الطائف عثمان[2] بن أبي العاص الثقفي، وعلى صنعاء المهاجر بن أبي أميّة، وعلى حضرموت زياد بن لَبيد، وعلى زَبيد أبو موسى الأشعري، وعلى الجَنَد معاذ بن جبل، وعلى البحرين العلاء بن الحَضْرميّ، وعلى نجران جرير بن عبد الله البَجلي، وعلى دُومة الجندل عياض بن غَنْم، وعلى الشام أبو عبيدة وخالد بن الوليد ومَن سَمّينا من الأمراء، وعلى العراق المثنى بن حارثة، وكان قاضيه عمر بن الخطاب، أقام مدة ولايته لم يحتكم عنده أحد، وكتب له زيد بن ثابت وعثمان بن عفان.

فصل في ذكر من كتب لخليفة ثم صار هو خليفة: كتب عثمان لأبي بكر، ثم ولي عثمان الخلافة، وكذا مروان بن الحكم، وكذا عبد الملك بن مروان، كتب لمعاوية على ديوان المدينة، ثم ولي الخلافة.

ذكر مسانيده: قال ابن الرَّقِّي: أسند عن رسول الله ﷺ مئة واثنين وأربعين حديثاً، أخرج له في «الصحيحين» ثمانية عشر، المتَّفق عليه فيها ستة، وانفرد البخاري بأحد عشر، ومسلم بحديث واحد، وأخرج له الإمام أحمد في «المسند» ستةً وثلاثين حديثاً، منها متفق عليه، ومنها أفراد.

= عشرة من الهجرة.

(١) في (أ) و(خ): محمد بن مفرغ .... أبو رافع، والمثبت من المعارف ١٧٧، وانظر ديوانه ٨٦، والكامل ٥٥٨.

(٢) في (أ) و(خ): عمار، والمثبت من الطبري ٣/ ٤٢٧، والمنتظم ٤/ ٧٠.

وقال أبو نُعيم: أسند أبو بكر عن رسول الله ﷺ من المتون سوى الطرق مئةَ حديث ونيفاً بمراسيلها[١].

وروى عن أبي بكر جماعة من الصحابة، منهم: عمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمرو، وحذيفة، وزيد بن ثابت، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن عمر، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وأنس، وأبو هريرة، وعقبة بن عامر، وأبو بَرزة الأسلمي، وأبو أُمامة، ومَعْقل بن سنان، وجابر بن عبد الله، وأبو موسى، وعمران بن الحُصين، وابن الزُّبير، وعائشة رضي الله عنهم في آخرين.

عبد الله بن مِرْبَع الأنصاري

من الطبقة الثانية، وكان أبوه مِربَع من المنافقين، وهو الذي حثا الترابَ في وجه رسول الله ﷺ لما خرج إلى أُحد، وأم عبد الله عُميرة بنت ظُهَيْر بن رافع، شهد عبد الله أُحُداً وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، واستُشهد يوم جسر أبي عُبيد، وقُتل معه أخوه عبد الرحمن لأمه وأبيه[٢].

عبد الرحمن بن العوَّام

من الطبقة الرابعة من المهاجرين، شهد بدراً مع المشركين، ثم نجا، وأسلم عام الفتح، وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة، فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن.

هرب عبد الرحمن يوم بدر، ومعه أخوه عبيد الله، ومعهما جمل، وكان عبيد الله أعرج، فركب عبد الرحمن الجمل، وأردف أخاه، فلَقيهما حكيمُ بن حزام ماشياً مُنهزماً، فلما رآه عبد الرحمن قال لأخيه عبيد الله: انزل، فقال له: أنشدك الله فيّ فإني أعرج، فقال: ألا تَنزل لرجل إن قُتلت كفاك، وإن أُسرت فداك، فنزلا عن الجمل، وحملا عليه حكيماً، فنجى حكيم وعبد الرحمن على قدميه، وأُدرك عبيد الله، فقُتل كافراً.

استشهد عبد الرحمن يوم اليرموك، وكان له ولد اسمه عبد الله، قتل يوم الدار[٣].

---

(١) معرفة الصحابة ١/ ١٨٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٧٨ (٥٤٥)، والاستيعاب (١٤٠٣)، والاستبصار ٢٣٦، والإصابة ٢/ ٣٦٦.

(٣) الاستيعاب (١٥٣٢)، والتبيين ٢٧٠، والإصابة ٢/ ٤١٥.

عَتَّاب بن أَسيد

ابن أبي العيص[١] بن أمية بن عبد شمس، أبو عبد الرحمن، من الطبقة الرابعة ممن أسلم يوم الفتح، وأمُّه أروى بنت أبي عمرو بن أمية.

استعمله رسول الله ﷺ على مكةَ عام الفتح لما خرج إلى حُنين، وسِنُّه يومئذ ثماني عشرة سنة، وقيل: عشرون، وقيل: خمس وعشرون، ورزقه كلَّ يوم درهماً، فأقام عَتَّاب للناس الحجَّ في تلك السنة، وهي سنة ثمان، حج بالمسلمين والمشركين.

وقال ابن عباس: قيل لرسول الله ﷺ: استخْلَفْتَ هذا الأعرابيَّ على مكة؟ فقال: «إني رأيتُه في المنام قد أخذ بحلقة باب الجنة، ففُتح له فدخل»[٢]. وأمر عتاب منادياً ينادي: لا أجد أحداً لا يصلي إلا ضربتُ عنُقَه، فكان المسجد يمتلئ حتى يصلي الناس خارجَ المسجد، ولم يزل عَتَّاب على مكة حتى تُوفي رسول الله ﷺ، فأقرّه أبو بكر رضوان الله عليه عليها، فلم يزل والياً إلى اليوم الذي مات فيه أبو بكر بالمدينة.

فمات عَتَّاب بمكة، وقيل: إن نعي أبي بكر وصل إلى مكة يوم مات عَتَّاب.

وقال عمرو بن أبي عقرب: سمعتُ عَتَّاب بن أَسيد وهو يخطب مستنداً بظهره إلى الكعبة، يحلف بالله تعالى: ما أصبتُ في عملي الذي بعثني عليه رسول الله ﷺ إلا ثوبين، كسوتُهما مولاي كيسان[٣]. وكان عَتَّاب قد سُمّ في اليوم الذي سُمّ فيه أبو بكر رضي الله عنه[٤].

ذكر أولاده: كان له من الولد عبد الرحمن وأبو عثمان وأمية، وأمهم ريطة بنت عبد الله خزاعية[٥]، قتل عبد الرحمن وأبو عثمان يوم الجمل، وسنذكره هناك.

وكان لعتَّاب أخٌ اسمه خالد بن أَسيد، أسلم عام الفتح، وكان فيه تِيهٌ شديد، روى

---

(١) في (أ) و(خ): العاص، والمثبت من طبقات ابن سعد ٥/ ٤٤٦، والمعارف ٧٣، والاستيعاب (٢٠٠٢)، وجمهرة ابن حزم ١١٣، والتبيين ١٩٨، والإصابة ٢/ ٤٥١.

(٢) ذكره ابن قدامة في التبيين ١٩٨، وانظر الإصابة ٢/ ٤٥١.

(٣) أخرجه الطيالسي في مسنده (١٣٥٦)، والبخاري في التاريخ الكبير ٧/ ٥٤، وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب، وابن قدامة في التبيين.

(٤) المنتظم ٤/ ١٥٧.

(٥) كذا ذكر، وفي طبقات ابن سعد ٦/ ٣٥ أن أبا عثمان وأمية من أولاد خالد بن أسيد.

الحديث عن رسول الله ﷺ، وكان له ولدٌ اسمُه عبد الله، وإليه يُنسب شِعب عبد الله بن خالد، وكان لعبد الله بن خالد من الولد: خالد وأُميّة وعبد العزيز.

ولي خالد بن عبد الله البصرة لعبد الملك بن مروان، وولي أخاه أمية حرب أبي فُدَيك الحَروري، فهزمه أبو فُديك، وكان عبد الملك قد عهد إلى خالد بن عبد الله أن يُولّي المهلَّبَ بن أبي صُفْرة حرب الأزارقة، فخالفه وولّاه جبايةَ الخراج، وولى أخاه عبد العزيز بن عبد الله حرب الأزارقة، فخرج إليهم في ثلاثين ألفاً، وهو يقول: زعم الناس أن هذا الأمر لا يتم إلا بالمهلّب، فسوف يعلمون، فلما دنا من عسكر الأزارقة أتاه سعد الطلائع، في خمس مئة فارس، وأعدَّ له من الخمس مئةً، وخرج الكمين واقتتلوا، فانهزم عبد العزيز، وقُتل معظم أصحابه، وتبعهم الخوارج نحو فرسخين، واستباحوا عسكرَه، وأخذوا امرأته، وبلغ عبد الملك فعزل خالداً، وولّى مكانَه أخاه بشر بن مروان.

وكان لعَتَّاب أختٌ يقال لها: عاتكة بنت أَسيد.

قال محمد بن سلام: أرسل عمر بن الخطاب إلى الشّفاء بنت عبد الله الأموية[1]: أن اغدي عليّ، قالت: فغدوتُ، فوجدتُ عاتكة بنت أَسيد ببابه، فدخلنا عليه، فتحدَّثنا ساعةً، فدعا بنَمَطٍ فأعطاها إياه، ودعا بنَمَطٍ دونه فأعطاني إياه، فقلت: تربت يداك يا عمر، أنا قبلها إسلاماً، وأنا بنتُ عمك دونها، وأرسلتَ إليّ، وجاءتك هي من قِبَلها!؟ فقال: ما كنتُ رفعتُ ذلك إلا لك، فلما اجتمعتُما ذكرتُ أنها أقربُ إلى رسول الله ﷺ منك. ولعتّاب بن أَسيد رواية.

عكرمة بن أبي جهل

من الطبقة الرابعة من المهاجرين، ويُقال: من الخامسة، وأمُّه أمُّ مجالد بنت يَربوع، عامرية، وكان عكرمة من رؤساء الكفّار على منهاج أبيه، وهو الذي كان يوم أُحد على خيل المشركين، وفعل تلك الأفاعيل، وأسلم يوم الفتح وحسن إسلامُه، وصحب النبي ﷺ، وكان عكرمة ممن هرب يوم بدر، فكان إذا أجهد اليمين قال: لا والذي نجّاني يوم بدر، وكان يضع المصحف على وجهه ويقول: كلامُ ربِّي، أو: كتاب ربي.

(١) في الاستيعاب (٣٤٠٧)، والتبيين ٢٠٢، والإصابة ٤/ ٣٥٦: العدويّة.

واستعمله رسول الله ﷺ عام حجَّ على هوازن، لصدقتها، واستعمله أبو بكر على أهل عُمان لما ارتدُّوا، واستشهد عكرمة باليرموك في أيام أبي بكر، وقيل: بأجنادين، وقيل: بمرج الصُّفَّر، وقيل: على دمشق، والقول الأول أصحّ.

قال سيف: لما رأى عكرمةُ يوم اليرموك غَلَبَةَ الروم قال: قاتلتُ رسول الله ﷺ في كلِّ موطن، وأفرُّ من هؤلاء اليوم؟!، ثم قال: مَن يُبايع على الموت، فبايعه أربع مئةٍ من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا بين يدي فُسطاط خالد بن الوليد، فانثنوا جمعياً جرحى وقتلى، وأُتي خالد بعكرمة جريحاً، فوضع رأسَه على فخذه، وأتي بعمرو بن عكرمة، فوضع رأسه على ساقيه، وجعل يمسح الدم عن وجهيهما، ويقطر الماء في حلقيهما ويقول: زعم ابن حنتمة أننا لا نحب الشهادة[١]، وكان عكرمة يركب الأَسِنَّة حتى أنفَذَتْه، وخالد يقول: ليت ابن حَنْتمة ينظر إلى ابن عمي كيف يركب الأسِنّة.

وقال الشيخ موفق الدين: ترجّل عكرمة يوم اليرموك، فقال له خالد: لا تفعل؛ فإن مُصابك على المسلمين شديد، فقال: دَعْني يا خالد، فإنه كانت لك مع رسول الله ﷺ سوابق، ثم قاتل قتالاً شديداً، فوجدوا به بضعاً وسبعين جِراحة[٢]. ولعكرمة رواية عن رسول الله ﷺ[٣].

عمرو بن أوس

ابن عَتِيك الجُشَمي، من الطبقة الثانية من الأنصار، شهد أُحداً وما بعدها مع رسول الله ﷺ، واستشهد يوم جسر أبي عبيد، وأخوه الحارث بن أوس قُتل بأجنادين، وأخوهما عُمَير بن أوس قتل يوم الحَرَّة[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٤٠١.

(٢) التبيين ٣٦٥.

(٣) انظر في ترجمته طبقات ابن سعد ٥/ ٤٤٤ـ٤٤٥ و٧/ ٤٠٤، والاستيعاب (١٩٩١)، والمنتظم ٤/ ١٥٥ـ١٥٧، والإصابه ٢/ ٤٩٦.

(٤) في طبقات ابن سعد ٤/ ٢٤٥ـ٢٤٦ أن المقتول يوم الحرة هو عامر بن أوس، وأن عمير بن أوس قتل يوم اليمامة، وانظر الاستيعاب (١٧٥٥) و(٤٠٨) و(١٧١٣)، والإصابة ٢/ ٥٢٥.

عمرو بن سعيد بن العاص

أبو عتبة. من الطبقة الثانية من المهاجرين، أسلم قديماً بعد أخيه خالد بيسير، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وقدم مع جعفر إلى خيبر، وشهد الفتح وحُنيناً والطائف وتبوك، واستعمله رسول الله ﷺ على خيبر ووادي القرى وتيماء وتبوك، ولما خرج المسلمون إلى الشام كان ممن خرج، فقُتل بأجنادين سنة ثلاث عشرة في خلافة أبي بكر، وعلى الناس عمرو بن العاص، وقيل: استشهد باليرموك، وقيل: بمرج الصُّفَّر، وقيل: بفِحْل[١].

عيَّاش بن أبي ربيعة

ذي الرُّمحَين[٢]، عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، من الطبقة الثانية من المهاجرين، أسلم قديماً قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وكُنيته أبو عبد الله، وكان من المستَضْعَفين الذين يُعذَّبون بمكة في الله تعالى، وهو أحد الذين كان رسول الله ﷺ يَقنت في الصلاة ويدعو لهم.

وأم عيّاش: أسماء بنت مُخَربة، من بني دارم، وهي أم أبي جهل والحارث، واستشهد عياش باليرموك، وقيل: باليمامة، وقيل: مات بالمدينة، وقيل: بمكة، وقال البخاري والدار قطني وابن منده وابن ماكولا: مات بالشام في فتح عمر[٣].

أسند عياش الحديث عن رسول الله ﷺ.

أولاد عياش: كان له من الولد عبد الله، أبو الحارث، وكان رجلاً صالحاً، يصحب عبد الله بن عمر في الأسفار فيصوم، فكان [ابن] عمر يأمر له بسحور.

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٩٤، والاستيعاب (١٧٣٥)، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤٤٦ (مخطوط)، والتبيين ١٩١، والإصابة ٢/ ٥٣٩.

(٢) في (أ) و(خ): ذو الرمحين، وهو خطأ، فإنه لقب أبيه، لا لقبه، انظر التبيين ٣٧٥، وتاريخ دمشق ١٣/ ٧٩٨ (مخطوط)، وانظر ترجمة عياش في طبقات ابن سعد ٤/ ١٢٠ و٨/ ٥، والاستيعاب (١٩٢٤)، والإصابة ٣/ ٤٧.

(٣) التاريخ الكبير ٧/ ٤٦، والمؤتلف والمختلف ١٥٦٢، والإكمال ٦/ ٦٤-٦٥، وتاريخ دمشق ١٣/ ٨٠٠-٨٠١.

وابنه الحارث بن عبد الله روى عنه الحديث، وابنه عبد الرحمن بن الحارث روى عنه الحديث والعلم، وابنه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث فقيه أهل المدينة بعد مالك، عرض عليه الرشيد هارون قضاء المدينة، وأجازه بأربعة آلاف دينار على ذلك فأبى، ورد المال، فأراد هارون أن يُلزمه فقال: والله لأن يخنقني الشيطان أحبُّ إليَّ من أن أتقلّد القضاء، فأعفاه وقال: ما بعد هذا غاية، وأجازه بألفي دينار.

وكان لعياش أخٌ يقال له: عبد الله بن [أبي] ربيعة، أسلم يوم الفتح، وولّاه رسول الله ﷺ الجَنَد ومخاليفها، فلم يزل والياً عليها حتى قتل عمر بن الخطاب، ويقال: إن عمر ولّى عبد الله اليمن وصنعاء والجَنَد، ثم ولّاه عثمان، فلما حُصِر عثمان جاء من اليمن في نُصرته، فسقط من راحِلته بقُرب مكة فمات.

روى عبد الله الحديث عن النبي ﷺ، وكان له من الولد الحارث القُباع، وسنذكره، وعبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة، وكان من وجوه قريش، وتزوّج أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضوان الله عليه بعد طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، وحلف أن لا يعطي بني مروان طاعة، فوفى بيمينه[1].

فائد بن عمارة

ابن الوليد بن المغيرة المخزومي، وكانوا ثلاثة إخوة: فائد وعبد الرحمن وهشام بنو عمارة، ولم يدرك منهم أحدٌ رسول الله ﷺ، وقيل: الذي لم يدركه فائد، وإنما أدرك زمانه، والكل أولاد أخي خالد بن الوليد، وكلّهم استشهدوا، واستشهد فائد بفِحْل، وقيل: مات باليمن في حياة رسول الله ﷺ.

وفائد هو الذي طلَّق فاطمة بنت قيس البتة وهو غائب، فأتت رسول الله ﷺ فقال: لا نفقةَ لك.

وقال ابن عبد البر: بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن لما بعث معاذاً، فطلّق فاطمة بنت قيس، وبعث بطلاقها، الحديث.

قلت: هذا كلام مضطرب، فإنه قال: لم يدرك فائد رسول الله ﷺ، وإنما أدرك

(١) التبيين ٣٧٦ـ٣٧٨.

زمانه، ثم إنه قال: مات باليمن في حياة رسول الله ﷺ، وأن رسول الله ﷺ بعثه إلى اليمن، وذكر حديث طلاقه فاطمة بنت قيس، ويحتاج ذلك إلى تحقيق[١].

فراس بن النَّضْر

ابن الحارث بن علقمة بن كَلَدة بن عبد مناف، وأبوه النضر الذي قتله رسول الله ﷺ كافراً بالصَّفْراء لما فصل من بدر.

وفراس من الطبقة الثانية من المهاجرين، وأمُّه زينب بنت النبّاش بن زرارة، أسديّة، أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشة المرة الثانية، واستشهد باليرموك[٢].

قيس بن السَّكَن بن قيس

من الطبقة الأولى من الأنصار، من بني النجّار، وكان ممن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وكنيته أبو زيد، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع النبي ﷺ، واستشهد يوم جسر أبي عُبيد[٣].

منصور بن عُمَير

ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصيّ، أبو الرُّوم، من الطبقة الثانية من المهاجرين، وهو أخو مصعب بن عمير لأبيه، أسلم قديماً، وفي هجرته إلى الحبشة خلاف، ولما قُتل أخوه مصعب يوم أحد دخل المدينةَ منصورٌ ولواء المهاجرين بيده، واستشهد يوم اليرموك، وأمه روميّة، ولم يشهد بدراً[٤].

النُّضَير بن الحارث

عمُّ فراس بن النَّضْر المذكور آنفاً، والنُّضير من الطبقة الرابعة، من مُسلمة الفتح،

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٤/ ١٩٤ و١٠/ ٦٢، والإصابة ٣/ ١٩٩ و٢/ ٤١٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ١١٤، والاستيعاب (٢٠٨٥)، وتاريخ دمشق ١٤/ ٢٠٤، والتبيين ٢٤٨، والإصابة ٣/ ٢٠٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٧٦، والاستيعاب (٢١٠١)، والاستبصار ٤١، والإصابة ٣/ ٢٥٠.

(٤) طبقات ابن سعد ٤/ ١١٤، والاستيعاب (٢٩٢٤)، وتاريخ دمشق ١٧/ ٢٣٢، والتبيين ٢٤٥، والإصابة ٣/ ٤٦٢.

وكان ممن خرج مع رسول الله ﷺ إلى حُنين، ينتظر الدبرة عليه، فلما نصره الله لقي النُّضير فقال له: يا نضير، هذا خيرٌ مما أردتَ، فقال: يا رسول الله، والله ما خرجت إلا لأغتالك، أو تكون الدبرة عليك، فأعين عليك، وأما الآن فقد أراد الله غير ذلك، وأطلعك على ما في نفسي، أشهد أن لا إله إلا الله، وأسلم وحسن إسلامه، وأعطاه رسول الله ﷺ مئةً من الإبل مع المؤلفة قلوبهم، ولما عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة من حُنين هاجر معه، وأقام حتى تُوفّي رسول الله ﷺ، وخرج إلى الشام غازياً، فقتل يوم اليرموك شهيداً، وكان يُعدُّ من حُلَماء قريش.

وقال البلاذري: هاجر إلى الحبشة، ثم قدم مكة فارتدّ عن الإسلام، ثم أسلم يوم الفتح(١).

وقال الزبير: كان يحمد الله على ما منّ به عليه من الإسلام، وحيث لم يمت على ما مات عليه أخوه وأبوه، ولما أمر له رسول الله ﷺ بمئة من الإبل يوم حنين، توقف في أخذها، وقال: إنما أسلمتُ لله، لا على رشوة، ثم قال: ما سألتُها، فأخذها وأعطى الذي بَشَّره بها عشرةً منها، وكان رجلاً من الدّيل(٢).

نُعَيم بن عبد الله بن أَسيد العدوي

وهو النَّحّام، أسلم قديماً قبل عمر بن الخطاب، بعد ثمانيةٍ وثلاثين إنساناً، وهو التاسع والثلاثون، وقيل إنه أسلم بعد عشرة، ولم يزل مُقيماً بمكة، يحوطه قومه وأهلُه لشرفه، حتى كان إلى زمن الحُدَيبية؛ لأنه كان يُنفق على أرامل بني عدي وأيتامِهم لشرفه، وهو من الطبقة الثانية.

شهد مع رسول الله ﷺ الحُدَيبية وما بعدها، وقدم على رسول الله ﷺ في سنة ستّ، ومعه أربعون من أهله، فاعتنقه النبي ﷺ وقبّله، وقيل: وسُمّي النّحام لقول النبي ﷺ: «دخلتُ الجنة، فسمعتُ نَحْمَةً من نُعيم».

وروي أن النبي ﷺ قال له: «يا نُعيم، إن قومَك خيرٌ من قومي، إن قومي

(١) أنساب الأشراف ٥/ ٢٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٦٥، والاستيعاب (٢٦٢٧)، وتاريخ دمشق ١٧/ ٥٨٠، والتبيين ٢٤٧، والإصابة ٣/ ٥٥٧.

أخرجوني، وقومك أقرُّوك»، فقال: يا رسول الله بل قومك خير، قال: «لم؟»، قال: لأنهم أخرجوك إلى الهجرة، وقومي حبسوني عنها.

استشهد نُعَيم باليرموك، وقيل: بأجنادين، وقيل: إنه قُتل بمؤتة مع زيد بن حارثة[١].

واقد بن عبد الله

ابن عبد مناف بن عزيز التميمي، من الطبقة الأولى من المهاجرين، أسلم قديماً، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين بشر بن البراء بن مَعرور، وهاجر إلى المدينة، فنزل على رِفاعة بن عبد المنذر، وهو الذي كان في سريّة عبد الله بن جحش إلى نخلة، وقتل يومئذ عمرو بن الحَضْرمي.

شهد واقد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وتوفي في هذه السنة، وليس له عقب[٢].

هبَّار بن سفيان

ابن عبد الأسد المخزومي، [وكان قديم الإسلام بمكة]، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية بالاتفاق، وقتل بأجنادين، وقيل: باليرموك.

وهبَّار من الطبقة الثانية من المهاجرين، وقد وهم البخاري في هذه الترجمة، فجمع بين هبَّار بن سفيان، وهبَّار بن الأسود، فجعلهما واحداً وهما اثنان، هذا مخزومي[٣].

وهبَّار بن الأسود بن المطَّلب بن عبد العُزّى، أسديّ، وهو الذي نَخَس جملَ زينب

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٢٩، والاستيعاب (٢٥٩٩)، والمستدرك ٣/ ٢٥٩، والمنتظم ٤/ ١٥٧، وتاريخ دمشق ١٧/ ٦١٨، والتبيين ٤٣٣، والإصابة ٣/ ٥٦٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٦٢، والاستيعاب (٢٧١٢)، والمنتظم ٤/ ١٥٩، والإصابة ٣/ ٦٢٨، ومن قوله: وهاجر إلى المدينة .... إلى هنا ليس في (أ).

(٣) انظر في ترجمة هبار بن سفيان طبقات ابن سعد ٤/ ١٢٦ و٦/ ٩٧، والاستيعاب (٢٦٧٤)، والتبيين ٣٨٥، والإصابة ٣/ ٥٩٩.

بنت رسول الله ﷺ فأسقطت، وقتل يوم أحد عشرةً من الصحابة، وأباح النبيُّ دمَه، وكان في الشَّراة مع النَّفر الذين كانوا مع عُتيبة بن أبي لهب، وعقره الأسد باللَّفَّاء[١]، وكان لهبّار دارٌ بدمشق في زقاق صفوان، ثم أسلم، وهو من الطبقة الرابعة، وكان رسول الله ﷺ قد قتل يوم بدر أخويه ربيعة وعقبة ابني الأسود، وابن أخيه الحارث بن معاوية[٢].

وعبد الله بن سفيان أخو هبَّار لأبيه وأمه، وهاجر إلى الحبشة، وقتل باليرموك شهيداً في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

هشام بن حكيم بن حِزام الأسدي

كان من الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، وكان عمر بن الخطاب إذا أنكر الشيء يقول: لا يكون هذا ما عشتُ أنا وهشام بن حكيم.

مرّ هشام بعُمَير بن سعد وهو يُعذّب الناس على الجِزية بالشمس، فقال له: ويحك يا أعور، ما هذا؟ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يُعذِّب الذين يُعذِّبون الناس في الدنيا»[٣]، فخلَّى سبيلَهم، وفي رواية: أنه مرَّ بفلسطين وعياض بن غَنْم يُعذّب الناس[٤].

استشهد هشام في حياة أبيه بأَجنادين، وكانت له ولأبيه صُحبة ورواية[٥].

هشام بن العاص بن وائل

أخو عمرو، أسلم قديماً بمكة، وهو من الطبقة الثانية من المهاجرين، وكنيته أبو العاص[٦]، وسمّاه رسول الله ﷺ أبا مُطيع، وشهد له بالإيمان، وكان أصغر من أخيه

---

(١) في النسخ: باللقاء، والمثبت من تاريخ دمشق ٣٨/ ٣٠٣. وغيره من المصادر.

(٢) انظر في ترجمة هبار بن الأسود طبقات ابن سعد ٦/ ٦٠، والاستيعاب (٢٦٧٥)، والتبيين ٢٨٠، والإصابة ٣/ ٥٩٧.

(٣) أخرجه أحمد (١٥٣٣٠)، ومسلم (٢٦١٣).

(٤) أخرجها أحمد (١٥٣٣٣).

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٧، والاستيعاب (٢٦٤٧)، وأنساب الأشراف ٥/ ٦٦، والتبيين ٢٧٢، وأسد الغابة ٥/ ٣٩٩، والإصابة ٣/ ٦٠٣.

(٦) في (أ) و(خ): أبو العباس، والمثبت من أنساب الأشراف ٥/ ٣٤٢، والإصابة ٣/ ٦٠٤، وانظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٤/ ١٧٨، والمعارف ٢٨٥، وطبقات خليفة (١٤٨) و(٢٨٢١)، والجرح والتعديل ٩/ ٦٣، =

عمرو، وهاجر إلى الحبشة المرة الثانية، ثم قدم مكة يريد الهجرة إلى المدينة لما بلغه مهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، فحبسه أهله، فهرب بعد الخندق إلى المدينة، فشهد ما بعد الخندق من المشاهد.

وكان شريفاً في قومه، فقيل لأخيه عمرو: أيّما أفضل أنت أم أخوك؟ قال: احكموا بيننا، أمُّه حَرْملة بنت هشام بن المغيرة، وأمي النابغة من بني عَنَزة، وكان أحبَّ إلى أبيه مني، وعُرِضْتُ أنا وإياه على رسول الله ﷺ فقبله وتركني[1]، وهاجر قبلي، واستبقنا إلى الله يوم اليرموك فسبقني، فأيّنا أفضل؟!

وقال هشام: بعثني أبو بكر إلى دمشق رسولاً إلى ملك الروم ندعوه إلى الله تعالى، فخرجتُ أنا ورجل من قريش، فقَدِمنا الغوطة، فنزلنا على جَبَلَةَ بن الأيْهم الغسّاني، فإذا عليه ثيابُ سواد، فقلنا: ما هذا؟ قال: لَبِستُها، وحلفتُ أني لا أَنزِعها حتى أُخرجَكم من الشام، فقلت: نحن نُخرجك، ونَملك مجلسَك هذا إن شاء الله تعالى، ونأخذ مُلكَ هرقل، قال: ومن أين لكم هذا؟! قلتُ: أنبأنا به نبيُّنا ﷺ.

ثم دخلنا على الملك فأكرَمَنا، وأخرج إلينا صُوراً في خِرق الحرير، في كلِّ خِرقَةٍ صورة نبيٍّ، حتى أخرج لنا خِرقةً فيها صورةُ نبينا، وزعم أن تلك الصُّور أنزلت على آدم، واستخرجها ذو القرنين من مَطلع الشمس، من خزانة آدم، فدفعها إلى دانيال الأكبر[2].

واستشهد بأجنادين، وقيل باليرموك، وقيل بمرج الصُّفَّر.

وقال الواقدي: كان هشام رجلاً صالحاً، رأى من المسلمين يوم أَجنادين بعضَ التقصير، فرمى المِغفَر عن رأسه وصاح: إليَّ إليَّ أيها الناس، أمن الجنَّة تَفِرّون، أنا هشام بن العاص، وقاتل حتى قُتل، فوقع في ثُلمةٍ فسَدَّها، وكان العدوُّ فيها، فهاب

= والثقات ٣/ ٤٣٣، وجمهرة أنساب العرب ١٦٣، والمستدرك ٣/ ٢٤٠، والاستيعاب (٢٦٤٨)، والتبيين ٤٦٥، والمنتظم ٤/ ١٥٨، وأسد الغابة ٥/ ٤٠١، والسير ٣/ ٨٦.

(١) كذا، والذي في المصادر السالفة: عرضنا أنفسنا على الله فقبله وتركني.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ١/ ٣٨٦ـ٣٩٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/ ١٦١ـ١٦٦، وانظر الإصابة ٣/ ٦٠٤ـ٦٠٥.

المسلمون أن يَطؤوه بخيولهم، فصاح عمرو أخوه: أيها الناس، إن الله قد استشهده، ورفع درجتَه، فأوطئوه الخيول، فأوطؤوه حتى قطعوه، فجعل عمرو بعد ذلك يجمع عظامَه وأوصالَه في نِطعٍ حتى واراه.

وقال سيف: استشهد هشام باليرموك، وأُصيب معه ثلاثةُ آلاف، منهم سبعون من بني سهم[١].

يزيد بن قيس بن الخَطيم الأنصاري

من بني ظَفَر، من الطبقة الثانية من الأنصار، وأمُّه حَوّاء بنت يزيد بن السَّكن، أشهليّة، وكانت من المبايعات، شهد أحداً وما بعدها مع رسول الله ﷺ.

وأبوه قيس وافى رسولَ الله ﷺ بذي المجاز، ولم يسلم، قتلتْه بنو سَلِمة.

قال ابن سعد: كان قيس بن الخَطيم شاعراً، وكُنيته أبو يزيد، فوافى رسول الله ﷺ بذي المجاز، فدعاه إلى الإسلام، وجعل يَرفُق به ويكنيه، فقال قيس: ما أحسن ما تدعو إليه، ولكن الحرب شغلتني عنك، وقد بلغك الذي بيننا وبين قومنا، فأَقْدِم المدينةَ وأنظر وأرجع إليك، وكانت امرأتُه حواء قد أسلمت، فأوصاه رسول الله ﷺ بها، وقال: «احفظني فيها»، فقال: أفعل، فقدم المدينة، فقال: يا حواء، إن محمداً أوصاني بك، وسألني أن أحفَظَه فيك، وأنا فاعل، فغَدتْ بنو سلمة فقتلتْه ولم يكن أَسلم[٢].

أبو عُبيد بن مسعود بن عمرو الثَّقفي

وأبوه مسعود عظيم القريتين، الذي نزل فيه قوله تعالى ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١]، والقريتان مكة والطائف[٣].

وولد مسعود أبا عُبيد وسعداً، فأما أبو عُبيد فهو الذي جَهّزه عمر رضي الله عنه مع المثنّى ابن حارثة، فقدم العراق، وشنَّ الغارات على الفُرس، واستشهد يوم الجسر، وكان

(١) أخرجه الطبري ٣/ ٤٠٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٦١، وانظر الاستيعاب (٢٧٤٦) والاستبصار ٢٥٨، والإصابة ٣/ ٦٦١.

(٣) انظر تفسير الطبري ٢٠/ ٥٨٠-٥٨٣.

شجاعاً جواداً شريفاً ورعاً حسنَ العِشرة والمواساة، وكان له من الولد مُختار وجَبْر وأسيد وصفيّة.

فأما المختار فنذكره، وأما جَبْر فقُتل يوم الجسر، وأما صفيّة فتزوّجها عبدالله بن عمر بن الخطاب، وأما سعد بن مسعود فولّاه علي رضوان الله عليه المدائن، وله عَقِبٌ بالكوفة[1]، وهو الذي قال له المختار بن أبي عُبيد: سَلّم الحسن بنَ علي إلى معاوية لما استشهد علي رضي الله عنه.

(١) المعارف ٤٠٠ـ٤٠١، وانظر الاستيعاب (٣٠٤١)، والإصابة ٤/ ١٣٠.